الدكتور ابراهيم السامرائي

قطوف و"نوادر"

دار الجيل
بيروت

مكتبة المحتسب
عمان

قطوف ونوادر

الدكتور ابراهيم السامرائي

قطوف و"نوادر"

دار الجيل
بيروت

مكتبة المحتسب
عمان

١٤٠٥ - ١٩٨٥



وبه استهدي واستعين

مُقَدِّمَة

قد يقع القارىء أو الدارس على مادة « الأصالة » في هذا « الكتاب » فيحملها على المشهور مما انصرفت إليه في هذه الحقبة المتأخرة من تاريخنا الثقافي .

ولعل كلمة « الأصالة » ، نظير كلمات عدة أخرى ، قد جنت عليها « المعاصَرة » وحملت الضيم عليها .

وللكلمات عالم من الحياة تنعم فيه وتشقى ، وقد يكون في مظاهر نعيمها بعض ملامح الشقاء ، فالكلمة ، وهي تشيع ، بل قل : وهي تُرزأ بالشيوع ، تندرج في سلسلة طائفة من المهملات التي يحس المرء أن به حاجة أن يطرح عن نفسه ثقل ما ابتلي من أعبائها وما ينوشه من ظلالها غير المريحة .

لقد حُمل على « الأصالة » شيء لا ندركه من الثقل ، وأكبر الظن أن الذين تحملوا وزر هذا هم أولئك الذين استمرأوا العلم الجديد الذي يشقى به الغربيون مما يختلط به خير كثير بشيء مثله من شر عظيم . قلت : ان أولئك هم الموزورون الآثمون ، ذلك أن جمهرة هذه الطائفة تتبعها طوائف عدة ممن أوحي إليهم ، والموجبات كثيرات ، إن العلم كل العلم هو ما عُبّىء بهذه « العُلَب الجديدة » التي تختزن هذه الأمشاج الجديدة من الخير والشر .

ما علينا فلنعد إلى « أصالتنا هذه » ونحبسها على العربية ونبعدها عن أن تكون مما تغمز به الكلمة الأعجمية (The Originality) . خـلِّ عنك هذا كله واطّرح ما يضطرب به القوم من « الجديد » الذي يخطف بريقه الأبصار ، فتراهم لاهين سادرين كلما أضاء لهم شيء منه مشوا فيه . وقلت لنفسي : لا بد أن أعود إلى هذه العربية القديمة فأشير ، وأنا أتحول بين مباهجها ، إلى هذه « الأصالة » التي أقصدها مبرّأة عن هذا الوافـد الجديد فأقول :

إننا ندرك ، ونحن في رحاب هذه اللغة القديمة ، سعة عجيبة بعيدة الأصول ، فهي لم تقتصر على هذه الفسحة الواسعة في الزمان والمكان ، ولكنها تتجاوز ذلك في ذهابها مخترقة الأعماق ، فكأنك ، وأنت محكوم عليك أن توطن النفس على بداوة مستحكمة ، تدرك أن في سعة هذه اللغة من عناصر الإحكام والذكاء والفطنة ما أنت عاجز عن أن تجد له حلاً شافياً وقولاً وافياً .

وضع نفسك في حيّز قديم من البداوة ،واطّرح عنك ما تشقى به من حاجات الحضارة ، وأجِل الطرفَ في أشتات هذه اللغة الأصيلة العريقة فستجد أنها من صنع « عبقرية » ما كان شيء منها في تاريخ الأمم القديمة . ولو أنك كنت من أهل المعرفة بما يسمى « اللغات السامية » لعلمت أن العربية نسيج وحدها وأن الإعراب بها لا يمكن أن يكون نظير ما عرف في تلك اللغات من طمطمانية مستعجمة .

لقد كان لي أن وقفت على أبنية هذه العربية القديمة فبدا لي أن أضع شيئاً مصنفاً أدرجه فأقف في سرده على فوائد تاريخية أتحول منها إلى النظر في العربية المعاصرة لأعقد الصلة بين الماضي والحاضر .

١٣ رمضان ١٤٠٤

إبراهيم السامرائي

قطوف و « نوادر »

لعل مادتي التي وسمتها بـ « قطوف ونوادر » ستدفع طائفتين من القراء إلى استطلاع هذه « القطوف » ثم موضع « النوادر » فيها ، فطائفة قد أهمّتهم « القطوف والنوادر » فيقبلوا عليها ، وما أظنهم ممن غَرَّر بهم هذا العنوان الذي لا يفتقر إلى شيء من بريق . وأنا ألتمس إلى هؤلاء ألا يُنحوا باللائمة عليّ في أني قدّمت إليهم شيئاً أخذوا ببريقه ، حتى إذا أصابوا ذَرْءاً منه عزَفوا وابتأسوا وقالوا : ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة ، وهل في هذه « القطوف » الكالحة « نوادر » ؟ وكم تَرَكَ الأولُ للآخر ! وأنا أطمح بل أطمع في أن يكون أصحابي هؤلاء ممن لا يَزْوَرّون عن الشقاء في رحاب الكلمة القديمة . وما أراهم إلاّ واجدين في ركام القديم شذوراً ونفائس .

وطائفة أخرى دَرِبت على الصنعة ، وأدركت أن القدامى على عِظَم ما أنجزوا وحقّقوا لم يوصدوا الأبواب ، فما زال خلف تلك الأبواب أسرار ومُخَبّآت . وها أنا أعطي هؤلاء شيئاً مما بدا لي أن أبسطه آمل أن يُلفوا فيه ما يمكن أن يعين على فهم جديد وعلم نافع ، فإلى أولئك وهؤلاء أقول :

شَقِيَ الشعراء وأهل النظم من النثر ، بالعربية ، فكان من ذلك لغة

خاصة هي لغة الشعر ، فقد كنت وقفت على هذه اللغة وقفات طويلة ، ولكني وجدت أن مجال القول فسيح ، وإني لأقف على نماذج من الشعر والرجز ذات قيمة تاريخية .

وسأورد هذه « النماذج » من كتاب « النوادر »[1] لأبي زيد الأنصاري ومما وقفت عليه في المظان الأخرى :

١ — قال الراجز :

وَيْهاً فداءً لكَ يا فَضالَهْ أجِرَّهُ الرُّمحَ ولا تُهالَهْ[2]

قال أبو حاتم : « ولا تُهالَهْ » فتح اللام ، أراد النون الخفيفة فحذفها.

أقول : كأن أبا حاتم ومن قال بمقولته في هذا الرجز قد افترضوا أن يكون هذا الراجز ، جاهلياً كان أم إسلامياً ، مدركاً لهذه الأصول النحوية ، وأن الفعل « مجزوم » بـ « لا » ، وأنه مؤكد بالنون الخفيفة فحذفَ النون .

---

(١) كتاب «النوادر» لأبي زيد سعيد بن أوس الانصاري نشره سعيد الخوري الشرتوني اللبناني في بيروت ١٨٩٤ .

(٢) «النوادر» ص ١٣ ، وقد ضُبِطَ الفعل اجِرّه (بكسر الراء مع التشديد) ويجوز الفتح والتشديد .
وجاء في « اللسان » (هول) : ان اللام حرك بالفتح اجتنابا لالتقاء الساكنين اي في الالف واللام واختير الفتح في « اللام » لانه من جنس الالف .
اقول : كيف يكون الفتح من جنس الالف ، ثم كيف يكون ساكنا ؟!
وقد بحثت مسألة التقاء الساكنين وكون الف المد ساكنة في موضع آخر من هذه الدراسة .

ولنقف قليلاً لنقول : لو كان الفعل مؤكداً بالنون فلِمَ حذفوا إشارة التوكيد ، وهل « الخفيفة » من حقها أن تحذف ، والذي نعرفه أن الخفيفة رُبّما عُدِل عنها إلى المدّ في القوافي وغيرها أحياناً كما في شاهد النحاة القديم ، وهو قول الراجز :

يَحْسَبُه الجاهل ما لم يَعْلَما [3]

وكأن الأصل : ما لم يعلَمنْ ، وقد اقتضى حكم القافية أن يتحوّل الشاعر من النون إلى المدّ ، ولم يحذف النون كما زعم أبو حاتم .

وقد أورد النحاة مثل هذا في باب الوقف وهو تحويل النون الخفيفة إلى ألف مَدّ كما في قول الأعشى :

وإيّاك والميتات لا تَقْرَبَنَّها ولا تعبد الشيطانَ واللهَ فاعبُدا

والأصل « فاعبُدَنْ » بالنون الخفيفة . وكأنّ النحاة أجروا هذه الشواهد على ما ورد في التنزيل العزيز وهو قوله — جلّ وعزّ — : « كلّا لئن لم ينتهِ لنَسْفَعاً بالناصية » [4] ، وكذلك : « . . . ولئن لم يفعل ما آمُرُه ليُسْجَنَنْ وليكوناً من الصاغرين » [5] .

أقول : إذا كان من وجه في تحويل النون الخفيفة المفيدة للتوكيد إلى ألف مدّ ، فليس من موجب للحذف في قول الراجز « ولا تُهالَهْ » كما زعم أبو حاتم وغيره من اللغويين والنحاة .

---

(٣) النوادر ص ١٣ .
(٤) ١٥ سورة العلق .
(٥) ٣٢ سورة يوسف .

فكيف نقول في هذا الرجز وما كان على غراره ؟ والجواب الذي استرجحه أن للقافية سلطاناً ، ومتى اقتضت أمراً صير إليه ، والشواهد كثيرة . وما أبعد الشاعر والراجز الجاهليَين عن هذا الذي اضطرب فيه النحاة فكان لهم هذا التفسير ، ومثل هذا عرض للإسلاميين أيضاً قبل مجيء النحاة وبعدَهم .

وكأن النحاة قبلوا « المصنوع » الذي يحقق لهم قولاً ، ومن هذا شواهد كثيرة ، قال أبو حاتم : أنشدني الأخفش بيتاً مصنوعاً لطرفة :

اضرِبَ عنكَ الهمومَ طارقَها   ضربَكَ بالسَّوطِ قَوْنَسَ الفرَسِ (٦)

وقال : أراد النون الخفيفة :

أقول : لو أن البيت غير « مصنوع » وعرض للشاعر شيء من هذا ، أما خطر بباله أن يتجاوز هذا بضرب آخر من البناء والنظم ؟ وقد عرفنا أن الشاعر كثير النظر في شعره فلا يتركه حتى يستوي له منه بناء يرتضيه ، إذا كان هذا هو دأب الجاهليين ، فكيف يكون الأمر لدى الإسلاميين ؟ ؟ ثم إذا عرفنا أن البيت « مصنوع » فإن المسألة تكون غير موضع للنظر .

٢ — وقال الراجز :

ما كانَ إلاّ طَلَقَ الإهمادِ   وكرُّنا بالأعرُبِ الجيادِ
حتى تحاجَزْنَ عن الذُّوادِ   تحاجُزَ الرِّيِّ ولم تكادِ (٧)

---

(٦) النوادر ص ١٣ . وقال ابن جني في « سر صناعة الاعراب » ١/٩٣ : انه مدفوع مصنوع عند عامة أصحابنا .
(٧) المصدر السابق ص ١٤ .

رواها أبو حاتم : « بالأغرب » ، قال أبو الحسن : وهو الصواب ، والأول غلط .

وقال أبو زيد : كَسَرَ آخِر « ولم تكادِ » لمّا سكنَ ما قبله .

كأن أبا زيد أراد أن يقول : إن حركة الكسر جيء بها اجتناباً لالتقاء الساكنين ، فالألف على زعمه ساكن ، والدال ساكن بسبب الجزم .

أقول : إن النحاة الأوائل قد أدركوا من علم الأصوات الكثير من وجوه العلم ، ولكنهم لم يفلحوا في إدراك أصوات اللين أو المدّ ، ويدخل في هذا الحركات الثلاث الفتحة والضمة والكسرة . ومع أنهم أدركوا أن الفتحة من الألف ، والضمة من الواو ، والكسرة من الياء أو قل إن الحركات الثلاث أبعاض حروف المدّ كما ذهب ابن جنّي ، أقول : مع إدراكهم هذا إلاّ أنهم ضلوا حقيقة هذه الحركات بل هذه الأصوات فحسبوا الألف في « قامَ » والواو في « يقوم » ، والياء في « يبيع » أصواتاً ساكنة ، مع إدراكهم أنها أصوات طويلة للفتحة والضمة والكسرة .

ومن أجل ذلك قالوا بالتقاء الساكنين في « تكاد » المجزومة التي وردت في قول الراجز ، وهي مادة تعليقنا هذا . ولو اطمأنّوا إلى أن « المدّ » في « تكاد » فتحه طويلة لامتنع أن يقولوا بالتقاء الساكنين ، ولو اهتدوا في تلك الحال إلى القول : بأن إسكان « الدال » في « تكاد » أوجد مقطعاً طويلاً لم تحتمله العربية ، ولم يجرِ على ألسنة الناطقين بها شيء منه ، لأدركوا من العلم الصحيح ما أعانهم على فهم أبنية عدّة .

وكأن النحاة أدركوا الضعف في الذي ذكره أبو زيد في تأويل المسألة فجاء في ذلك ما حكاه أبو الفضل عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : ذَكَر الإبل فوصَفها ثم قال : ولم تكادي أيّتها الإبِل . ذكره الأصمعي عنه .

قال أبو حاتم : خاطبها .

وقال أبو زيد : ومثله (أي مثل هذا الرجز موضع الدرس) قول الراجز الآخر :

ما هُنَّ إلاّ أربُعٌ بـواقي حتى يُعَرَّين ولا تساقي[٨]

كأنه قال : ولا تُساقي أيتها الناقة ، يخاطب ناقته .

أقول : وكأن عدولهم في تفسير « تكادِ » في أنها خطاب للناقة ، وأنها « لم تكادي » ، يشعرنا أنهم كانوا في حَرَج من هذه المسألة فهم يلتمسون لها حلاً أو مخرجاً .

وأقول أيضاً : إن هذا كله كان بسبب سلطان القافية التي لم يريدوا أن يُقروا لها به ، فذهبوا يلتمسون المخارج للوصول إلى أن هذه اللغة القديمة لم تتنكر لقواعد النحو ، وأنها جارية على المشهور المألوف من هذه الأصول النحوية .

غير أن الدارس لا بد له أن يقول : إن ما خُيِّل إلى النحاة أنه تجاوز على قواعد العربية هو تجاوز ، على المشهور المألوف ، ولكنه لا يمكن أن يكون تجاوزاً إذا ما اعتبرت لغة الشعر ، وأن الشعر بأوزانه وقوافيه شيء ينبغي له عربية خاصة .

وأضيف أيضاً : أن هذه العربية الخاصة التي نقف عليها في الشعر القديم ، وفي الأراجيز القديمة هي عربية يصير إليها الشاعر والراجز في

---

(٨) المصدر السابق ص ١٤ .

بعض الأحيان ، ولم يشعر أنه تجاوز على العربية ، وأنه خرج على مألوفها ومشهورها اعتقاداً منه أن هذا النمط من فنون القول لا بد أن يكون له هذا الذي يعرض له مما خُيّل إلى النحاة واللغويين أنه تجاوز وخروج فراحوا يلتمسون له وجهاً من وجوه العربية كيلا يقولوا : إنه خطــأ ، أو ان « قواعدهم » النحوية واللغوية مطعون فيها لأنها لا تجري على جميع كلام العرب .

ولو قالوا : هكذا قالت العرب لكان أحسن وأجود وأقرب إلى الفهم التاريخي في تطوّر العربية التي درجت على أن يكون للمتعارف المشهور سيرورة وشيوع .

٣ — وقال الراجز :

والله لولا وجَعٌ في العُرقُوبْ لكنت أبقى عَسَلاً من الذيبْ(٩)

أراد : « العَسَلان » ، وهو اضطراب الذئب في عدوه ، واضطراب الرّمحِ وغيره ، ويقال : عَسَلَ يعسِلُ عَسَلاناً ، قال ساعدة بن جؤيّة :

لَدْنٌ يُهزُّ الكفَّ يعسِلُ مَتْنَهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ

ولنرجع إلى قول الراجز ونقف على قوله : « أبقى عَسَلاً من الذيب » ونرى أن المراد « عَسَلاناً » لنقول : كأن الراجز يجد سعة من القول فيعدل بالكلمة عن وجهها فيحذف منها كما جرى في هذا الشاهد ، وقد يضيف إليها شيئاً ابتغاء تمام الوزن ، فمن ذلك قول الراجز القديم :

(٩) انظر « اللسان » (عسل) .

جاريةٌ ليسَتْ من الوَخْشَنِ لا تلبَس المنطقَ بالمُثْنَنِ
إلاّ ببيتٍ واحدٍ بتَسنِ كأنَّ مجري دمعها المُسْتَنّ
قُطْنُنَّةٌ من أجوَد القُطْنَنّ (١٠)

قال أبو حاتم : « قُطْنَنَّة » بفتح النون الأولى .

قال أبو سعيد : كذا قرأتُه على الرياشيّ : « بالمُثْنَنّ » بالثاء ، ثم حَكَى الخوارزميّ عن الرياشيّ « بالمُتْنَنّ » من « المَتْن » .

قال أبو الحسن : الصواب : « بالمُتْنَنّ » بالتاء ، وهو الذي قرأته على أبي العباس محمد بن يزيد . ورواه غير أبي زيد :

قُطُنَّةٌ من أجودِ القُطُنِّ (١١)

أقول : وهذا كله يشير إلى أن الشاعر القديم ، ومعه الراجز كانا ممتَحَنَين بهذا الذي شَقَوا به من النظم الذي دفعهم إلى هذه العربية الخاصة التي ابتلي بها النحاة ، بل أحبّوها لأنها أعطتهم مادة أغرتهم بهذا المصنوع من أساليب التعليل والتأويل . . .

قلت : لقد أحب اللغويون والنحاة هذه الغرائب أو النوادر ، فراحوا يلتمسون وجهاً للتعليل ليجعلوا منها شيئاً من العربية التي جرت على نحو من القواعد معلوم مشهور يتحقق في كلام العرب عامة .

وقد يلجأ الراجز القديم إلى استبدال حرف بآخر ، فهو يثبت الكلمة

---

(١٠) المصدر السابق (قطن ، وخش) .
(١١) « النوادر » ص ١٦٧ — ١٦٨ .

التي تنتهي بحرف الرويّ فيكون هذا الحرف مما التزم من أجل القافية ، وهو غير الصحيح الذي اطّرحه لأنه لا يجرء على القافية . وقد عرض هذا للعجاج ورؤبة ولأبي النجم وغيرهم .

وقد مرّ بنا في شواهد النحو :

أبني كُلَيْبٍ إن عَمَّيَ اللّذا   قَتَلا الملوك وفَكّكا الأغلالا [١٢]

والمراد : « اللذان » وقد حذف النون من أجل الوزن .

٤ — وقال الراجز :

دَلْوَاي خِلْفان وساقياهما [١٣]

يقول : إحداهما مُصعدة والأخرى منجدة ، أو إحداهما جديد والأخرى خَلَق ، ويقال : له غلامان خِلْفان ، إذا اختلفا فكان أحدهما طويلاً والآخر قصيراً ، أو كان أحدهما أسود والآخر أبيض ، وكل شيئين اختلفا فهما خِلْفان .

أقول : والتقدير : « دَلْواي خِلْفان وساقياهما خِلفان » ولكن الراجز اكتفى بذكر « خلفان » فأوجز فحذف ، وهذا باب في العربية يتصل بصفات الكلام البليغ ، ولو ذكره هذا الذي حذف لقدح بجمال القول .

---

(١٢) البيت للفرزدق ونسبه السيوطي في «شرح شواهد المغني» للأخطل. وقالوا في حذف النون من « اللذان » أنها لغة بلحارث بن كعب وبعض بني ربيعة ، انظر المقاصد النحوية ١/٥ ، ٤ .

(١٣) « النوادر » ص ١٥ .

وما أظن أن الشارح القديم قد وُفّق في بسط المعنى على « الإصعاد » و « الإنجاد » أو أن « الحلفان » أسود وأبيض أو نحو هذا من كل شيئين اختلفا .

٥ — ومثل هذا قول ضابىء بن الحارث :

ومن يكُ أمسَى بالمدينةِ رَحْلُــه فإنّي وقيّاراً بها لغريب [١٤]

و « قَيّار » هذا جمل الشاعر ، وأراد ، فإنّي غريب وإن قيّاراً لغريب ،ويجوز : « وقيّارٌ » . وهذا مما تقتضيه لغة الشعر وسلطان القافية ، وذلك لأنّ الأجود أن يقول : لغريبان . ولولا ما كان من القافية لصار إليه في بناء آخر ووزن آخر .

وهذا كله من لغة الشعر .

وعلى هذا لم يكن وجيهاً أن يُتّخذ الشعر شواهد قوية في تأصيل نحو العربية .

٦ — وقال الراجز القديم :

إنّ لسُعدى عندنا ديوانــا يُخزي فلاناً وابنَه فلانا
كانت زماناً عَمِرتْ زمانــا وهي تَرى سيّئها إحسانا
أعرف منها الأنف والعينانــا ومنخران أشبَهــا ظبْيانا

قال أبو زيد : وأنشدني المفضل هذا الرجز لرجل من بني ضبّة هَلَكَ

(١٤) المصدر السابق ص ٢٠ .

منذ أكثر من مئة سنة .

وظبيان اسم رجل ، وأراد منخري ظبيان فحذف كما قال – عزّ وجل – « واسأل القرية »[15] يريد « أهل القرية » .

أقول : وفي هذا التعليل بيان أن لغة الشعر القديم لغة خاصّة قد تلجأ إلى الحذف في مواضع يندر أن نجد شيئاً منها في لغة النثر ، وقوله : إن حذف المضاف هنا نظير قوله تعالى – : « واسأل القرية » ليس بشيء ، وليس هذا الذي ندركه من الآية كالذي في الرجز .

غير أن النحاة اتخذوا من قول الراجز :

أعرف منها الجيدَ والعينـــانا ومنخرين أشبَها ظبيانا[16]

شاهداً في مجيء المثنى بالألف دائماً وأنّ نونه نون إعراب في « العينان » و « عينان » و « ظبيان » مثنيان لـ « عين » و « ظبي » .

والرجز لم ينسب إلى قائل ، وقيل : لرجل من ضبّة ، ثم قالوا إنه مصنوع . وفيه تلفيق من لغتين وهما « العينانا » في حال النصب ، وقوله : « ومنخرين » والياء علامة نصب ، وكيف كان هذا ؟

ولو صدقنا أن في لغة القائل التزامـــاً لألف المثنى فكيف صار إلى « المنخرين » ؟ ! هذا ما سها عنه الواضع .

وأنت تعجب حين ترى أن النحاة قد أطالوا التعليق على البيت مع

---

(١٥) ٨٢ سورة يوسف .
(١٦) اوضح المسالك لابن هشام ١/٤٩ .

علمهم أن البيت مصنوع يدل عليه : أن التلفيق فيه بين لغتين لا يمكن أن يكون من لغة قائل بعينه .

ونقل السيوطي في « الاقتراح » [17] عن المرزباني قوله :

إن المولّدين قد وضعوا أشعاراً ودسّوها على الأئمة فاحتجوا بها ظنّاً منهم أنها للعرب . . . ثم ذكر الرجز « أعرف منها الجيد . . .

٧ — وقال الشاعر القديم :

ألم تَكُ قد جرَّبْتَ ما الفقر والغنى ولا يعظ الضِّلِّيل إلاّ الألِكا [18]

وقوله : « ألالِكَ » أراد أولئك .

إن التحوّل من « أولئك » إلى « أولالك » كان بسبب القافية فقد جاء البيت الثاني :

عقوقاً وإفساداً لكلّ معيشةٍ فكيف ترَى أمست إضاعة مالِكا

---

(١٧) الاقتراح للسيوطي ص ٢١ — ٢٢ .

(١٨) النوادر ص ١٥٤ . وقد قلت : ان سلطان القافية قد يفرض على الشاعر ابدال حرف بآخر ليستوي له بناء شعره على حرف واحد ، ومن ذلك قول زهير بن زبّان في « جَلْوَى » وهو فرس للصراع بن قيس :

وقائلةٍ يومَ الحفاظ لبعلها لا يُعدَل الصراع في الحدثان

. . . .

وقد علمت جَلْوَى بأن ليس ربها بمعتلثٍ دون ولا بعَبانِ

أراد « بعَبام » وهو الثقيل العيي .

انظر أسماء خيل العرب للغندجاني ص ٧٠ .

وليس لنا أن نقول ان « أولالك » لغة في « أولئك » ، وانه جائز أن نستعمل « أولالك » في حشو البيت وليس من أجل قافية .

كل هذا يشير إلى أن الشاعر يجد نفسه في حِلٍّ أن يأخذ اللفظ ويغيره فيحذف ويزيد ويبدل وهكذا يكون للشاعر ما لا يكون للناثر ، ويتأتى من ذلك أن يكون للشعر لغة خاصة .

٨ — وقال ابن جني : سألت أبا علي (الفارسي) عن قول الراجز :

أبيتُ أسري وتَبيتي تــدلكي وجهك بالعَنبر والمِسك الذكي

فخضنا فيه واستقر الأمر فيه على أنه حذف النون من « تبيتين » كما حذفت الحركة للضرورة في قوله : — أي امرىء القيس — :

فاليوم أشربْ غيرَ مستحقبٍ إثمــاً من الله ولا واغِلِ (١٩)

كذا وجهته معه ، فقال لي : فكيف تصنع بقوله : « تدلكي » ؟ فقلت : نجعله بدلاً من « تبيتي » أو حالاً ، فنحذف النون ، كما حذفها من الأول في الموضعين ، فاطمأن الأمر على هذا (٢٠) .

---

(١٩) جاء بيت أمرىء القيس بهذه الرواية ، وفيه الفعل « أشرب » ساكن الباء كما يقتضي الوزن ، وكأن النحاة والرواة تعجبوا وأنكروا أن يكون شيء من هذا فراحوا يرمون هذا البناء المختل بحسب تصورهم فرووا فيه رواية « فاليوم أسقَى » ، وأخرى : « فاليومَ ألهو » ليبعدوا امرأ القيس عن اللحن ، وكأن مجيء « اشرب » من امرىء القيس الجاهلي هو لحن .

(٢٠) الخصائص لابن جني ١/٣٨٨—٣٨٩ . اقول : ان تخفيف الياء في « الذكي » من اجل القافية يعطي رخصة للمعاصرين في هذا ، قال احمد شوقي :

ويا حبذا صبية يمرحون عنان الحياة عليهم صبي (بالتخفيف)

أقول : إذا كان هذا الراجز جاهلياً ، وهو ما أظنه ، فليس هو موضع نظر فيما خيل لابن جني وشيخه أن « يخوضا » فيه . فالعربية الجاهلية فيها الكثير مما ظنه النحاة من الغرائب التي تنأى عن قواعد النحو ، ولا سيما ما اقتضته لغة الشعر والأراجيز ، ومثل هذا عرض للشعراء الإسلاميين ، ولم يجدوا فيه ضيراً .

وحكاية عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مع الفرزدق معروفة مشهورة فقد قال للفرزدق في الكلام على قول الشاعر :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يَدَعْ ... من الناس إلاّ مُسْحِتاً أو مُجلَّفُ

على أي شيء عطفت « مُجلّف » ، وكأنّه أراد أن يقول له : إنك لَحَنْتَ ، والصواب : أو مُجلِّفاً . فأجابه الفرزدق بجوابه المشهور مستخفّاً « بنحوه » قائلاً : على ما يسوءك وينوءك ، وقد هجاه بقوله :

فلو كان عبد الله مولىً هجوتُه ... ولكن عبد الله مولَى مواليا

فما كان من الحضرمي إلاّ أن لحّن الشاعر ثانية فقال : والصواب « مولَى موالٍ » [21] .

أقول : وقد خرج الشعراء الإسلاميون عما هو معروف من وجوه العربية مما اتخذ منه النحاة أصولاً وقواعد ، ولم يكترثوا لما قال به النحاة ، وكأنهم أرادوا أن يقولوا ان العربية لسان العرب ومجال القول فيها واسع ، وأن ما حُمل على اللحن من أقوال الجاهليين والإسلاميين الأوائل ليس

---

(٢١) انظر الخبر في « نزهة الالباء » (طبع بغداد) ص ١١ـ١٢ .

لحناً بل هو شيء درجوا عليه واقتضته لغة الشعر الخاصة المقيدة بالوزن والقافية .

وقد اعتبر أهل العلم هذه « اللغة » وأفادوا منها وأشادوا بها فقد روي أن الحسن البصري قد أفتى رجلين مستعيناً بشعر الفرزدق [٢٢] ، وقد جرى مثل هذا في أخبار الشعبي [٢٣] . وإذا كان للقدماء ولنا نحن المعاصرين أن نفيد من لغة الشعر فليس من العلم أن نعطيها ما أعطاه إياها الأقدمون في وضع أصول وأسسٍ .

وقد أعطى الكوفيون للشعر قيمة كبيرة فكانوا يوثّقون قراءة من القراءات فيستدلون على ذلك بالشعر ، ومن قولهم : إن الفعل يُرفع بعد « أن » المخففة من الثقيلة واستشهدوا بقراءة ابن محيصن في قوله تعالى : « لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة » مؤيدين هذه القراءة بما أنشدوا :

أن تقرآنِ على أسماءَ ويحكما منّي السلامَ وأن لاتُشعرا أحدا [٢٤]

ولم يجوِّز البصريون ذلك ، وذهبوا إلى أنها أن الناصبة ، وقد أُهملت حملاً على « ما » المصدرية [٢٥] .ومن ذلك تجويزهم إعمال « أن » المصدرية مع الحذف من غير بدل [٢٦] مستشهدين بقراءة عبد الله بن مسعود وأبيّ بن

---

(٢٢) انظر « طبقات فحول الشعراء » (ط المعارف ١٩٥٢) ص ٢٨٤ ، و « العمدة » ١/٥٥ ، و « الاغاني » (ط بولاق) ١٩/١٤ .
(٢٣) انظر « نور القبس » (اختصار اليغموري) ص ٢٤٣ .
(٢٤) « مغني اللبيب » ١/٢٩ .
(٢٥) « المفصل » للزمخشري ص ٣١٤–٣١٥ ، و « شرح الكافية » للرضي ٢/٢١٧ .
(٢٦) « الانصاف » للانباري ٢/٥٥٩ .

كعب : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلاّ الله » (٢٧) حيث انتصب الفعل « تعبدون » بـ « أن » مقدرة ، و تقديره : « أن لا تعبدوا إلاّ الله » فحذفت « أن » وأعملت مع الحذف (٢٨) . واستدلوا على رأيهم بقول طرفة بن العبد :

ألا أيُّهذا الزاجري احضُرَ الوَغَى   وأن أشهدَ اللذّات هل أنت مُخلدي (٢٩)

وقول عامر بن الطفيل :

فلم أرَ مثلها خبــاسةَ واحدٍ   ونهنَهْتُ نفسي بعدما كدتُ أفعله (٣٠)

حيث نصب « أحضر » في البيت الأول ، ونُصب « أفعله » في الثاني (٣١)

أقول : لا بد من وقفة على شاهد الكوفيين : أنْ تقرآن على أسماء . . . البيت من الأبيات التي لا تعرف نسبتها وهو من جملة أبيات هي :

يا صاحبيَّ فدَت نفسي نفوسكما   أو حيثما كنتما لاقيتُما أحــدا
إن تحملا حاجةً لي خف محملها   تستوجبا مِنّةً عندي لكم ويدا
أن تقرآنِ على أسماءَ ويحكُما   مني السلام وأن لا تُشعِرا أحَدا

أقول : نقرأ هذه الأبيات ونميل إلى أنها مصنوعة فقد اشتملت على

---

(٢٧) ٨٣ سورة البقرة .
(٢٨) « معاني القرآن » للفراء ١/٥٣ .
(٢٩) من شواهد « الكتاب » ١/٤٥٢ .
(٣٠) من شواهد « الكتاب » ١/١٥٥ ونسب البيت الى عــامر بن جوين الطائي ، كذا نسبه الاعلم أيضا .
(٣١) « الانصاف » ٢/٥٦٠-٥٦١ .

« أن » الناصبة كما اشتملت على « أن » في قوله « أن تقرآن » ، وهي من غير شك نظير الناصبة التي وردت في البيت ، وليس لنا أن نحملها على « المخففة » كما ذهب الكوفيون .

واصطناع الشواهد واختراعها صار من دأبهم ليظلوا يطيلون الكلام والجدل في مسائل لا تستحق هذا العناء ، ولو أجريت على الأوضح والأسهل لكان ذلك أجود .

وقد اجمع على وضع الشواهد العلماء من أهل الرواية واللغويون والنحاة ولنعرض لطائفة من هذه الشواهد :

قال المفضّل الضبّي : إن أبا الغول الطهويّ أنشده لبعض أهل اليمن :

أيّ قلوصِ راكبٍ تراهــا   طاروا عليهنّ فشُلْ علاها
واشدُد بمثنى حَقَبٍ حَقْواها   ناجيةً وناجياً أبــاهــا
إن أباها وأبــا أبــاهــا   قد بلغا في المجد غايتاها [٣٢]

وقد قال أبو عبيدة لأبي حاتم : إنها من صنعة المُفضّل الضبّي نفسه . وهذا الرجز يورده النحويون في التزام المثنى للألف في جميع أحوال الإعراب كما يوردونه في التزام الأسماء الستة للألف أيضاً (أباها) . ومثل هذا ما نسب إلى زهير بن أبي سلمى وهو :

لِمَنِ الديار بقُنّة الحِجْـر   أقوينَ من حِجَجٍ ومن شَهْرِ

---

(٣٢) « النوادر » ص ١٦٤ .

قيل : إن حمّاد الراوية صنعه مع بيتين آخرين وألحقه بقصيدة زهير [٣٣] وقد استشهد به الكوفيون في جواز استعمال « من » لابتداء الغاية في الزمان .

كأن هؤلاء الوضاعين لم يكتفوا بالشواهد التي صنعوها ولم ينسبوها إلى أحد ، بل توسّعوا في الوضع فنحلوا الجاهليين شيئاً من عبثهم .

قال أبو الحسن : وأخبرنا أبو العباس المازني عن الأصمعي أنه أنشدهم :

من يفعل الخير فالرحمانِ يشكرُهُ

قال : فسألته عن الرواية الأولى :

من يفعل الحسنات الله يشكرُها   والشرّ بالشرّ عند الله مِثْلانِ [٣٤]

فذكر أن النحويين صنعوها . ثم قال الأخفش : ولها نظائر ليس هذا موضع شرحها [٣٥] .

ومن هذا الباب ما استشهد به سيبويه وذكر أنه مما وضعه النحويون :

إذا ما الخبز تأدِمُهُ بلَحْمٍ   فذاكَ أمانَةَ الله الثّريدُ [٣٦]

---

(٣٣) « الاغاني » ٥/١٧٣ ، و « خزانة الادب » ٤/١٢٩ .
(٣٤) من شواهد سيبويه في « الكتاب » ١/٤٣٥ استشهد به على حذف فاء الجزاء ، ونسب الى حسان بن ثابت ، على ان في هذه النسبة خلاف ، ولم اقف عليه في « الديوان » في اكثر من نشرة واحدة .
(٣٥) « النوادر » ص ٣٢ .
(٣٦) من شواهد « الكتاب » ١/٤٣٤ ، قال الاعلم في « الهامش » (تحصيل عين الذهب) : ويقال هو مما وضعه النحويون .

وقد تعجب أن تجد هذا العبث في الوضع لدى كبار اللغويين من أهل الرواية والقراءات فقد ذكروا عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : « والله ما كذبت فيما رويته حرفاً ، ولا زدت فيه شيئاً إلاّ بيتاً في شعر الأعشى فإني زدته فقلت :

وأنكرَتْني وما كان الذي نكِرَتْ   من الحوادث إلاّ الشيبَ والصلعا[37]

فألحَقَه الناس في شعر الأعشى [38] ، والبيت في ديوان الأعشى في قصيدته التي مطلعها :

بانتْ سعاد وأمسى حبلها انقَطَعا   واحتلّت الغَمْرَ فالجدّين فالفُرُعا[39]

وممن اتُّهِم بالوضع من النحويين « قطرُب » [40] فاتهمه الأزهري في رأيه وروايته عن العرب [41] . وكان الزجاج يهجّن من مذاهبه في

---

(٣٧) « مجاز القرآن » ١/٢٩٣ ، « مراتب النحويين » ص ١٤ ، « مجالس العلماء » ص ٢٣٥ .
وقال ابن عبد ربه في « العقد الفريد » ٣/٤١٠ : ان حمّاداً الراوية هو الذي صنع البيت والحقه بشعر الاعشى ، وليست هذه النسبة بشيء لاعتراف ابي عمرو نفسه، ولان بشاراً انكر البيت قبل اعتراف ابي عمرو بسنين (الاغاني) ٣/٢٣ ، « نور القبس » ص ٣٤ ، مجالس العلماء ٢٣٥ـ٢٣٦ .
(٣٨ ، ٣٩) « مراتب النحويين » ص ١٤ .
(٤٠) « نور القبس » ص ١٧٨ ، « بغية الوعاة » ١/٢٤٣ـ٢٤٤ ، «المزهر» ١/٦٨ .
(٤١) « تهذيب اللغة » ١/٢٧ .

النحو أشياء نسبه إلى الخطأ فيها [٤٢] . وكان أبو العباس ثعلب لا يعبأ به [٤٣] كما كان ابن السكّيت لا يوثقه ويظهر كذبه ، وهكذا اجتمع على تجريحه البصريون والكوفيون .

لقد أنشد المبرد أبياتاً خمسة ذكر أنها لرجل من خزاعة يرثي عمر بن عبد العزيز وأولها :

أمـــا القبور فـــإنّهنّ أوانسٌ بجوار قبرك والديار قبورُ

وقد عَقّب أبو الحسن الأخفش بقوله : الذي صحَّ عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي [٤٤] .

وقد أكثر العلماء في الكلام على « قطرب » وما كان منه من الوضع والعبث ومن ذلك ما نختم به هذه اللمحة الموجزة في «شواهد الوضع » وهو ذكرهم أنه صَنَع :

أقبَلَ سيلٌ جاء من عند الله يحرِد حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلّهْ [٤٥]

قال ابن الشجريّ : إن حذف ألف « الله » إنما استعمله قائل هــذا الرجز للضرورة ، وأسكَنَ آخره للوقف عليه ، ورقّق لامه لانكسار ما قبلها ، ولو لم يأتِ في قافية البيت الثاني « المُغلّه » لأمكن أن يقول : « جاء من اللاّه » فيثبت ألفه ويقف على الهاء بالسكون [٤٦] .

---

(٤٢) « المصدر السابق » ١/٣٠ .
(٤٣) « المصدر السابق » ١/٢٧ .
(٤٤) « الكامل » ٢/٢٦٧–٢٦٨ .
(٤٥) « الكامل » ١/٣٣ ، ٢٩٠ .
(٤٦) « أمالي » ابن الشجري ١/٣٦٥–٣٦٦ .

وقال أبو حاتم : هذه صنعة مَن لا أحسَنَ الله ذكره يعني قطرباً[47] .

وجاء في « خزانة الأدب »[48] مما نقل عن البيضاوي : « حذف ألف لفظ الجلالة لحن تفسد به الصلاة ، ولا ينعقد به صريح اليمين ، وقد جاء في ضرورة الشعر :

« ألا لا باركَ الله في سُهَيْلٍ »

هذه لمحة عن الشواهد الموضوعة التي حفلت بالغريب النادر مما يندّ عن أصول العربية فراح النحويون يخوضون فيه يلتمسون له وجهاً ولو كان ضعيفاً .

ولنعد إلى ذكر ما عندنا من « القطوف » و « النوادر » :

٩ ــ وقال خداش بن زهير :

كذَبت عليكم أوعدوني وعلّلوا بي الأرضَ والأقوامَ قِردانَ موظبا

ومعنى « كَذَبت عليكم » أي عليكم بي[49] .

وقالوا : وتجيء « كَذَبَ » زائدة في الحديث والشعر ، قال عمر : كَذَبَ عليكم الحجّ ، والمعنى : عليكم الحجّ ، أي حُجّوا .

ونظر أعرابيّ إلى فلان يعلف بعيراً فقال : كذَبَ عليكم البِزر والنوى

---

(٤٧) « الكامل » ١/٣٣ .
(٤٨) « خزانة الادب » ٤/٣٤١ .
(٤٩) « النوادر » ص ١٧ .

أي عليكم . . . [٥٠] .

أقول : لا أدري كيف يكون الفعل « كذب » في بيت خداش بن زهير زائداً ، وأن المعنى : عليكم بي ، وكيف يكون زائداً في حديث عمر ، وأن المعنى عليكم الحج والمعنى أمر أي حُجّوا ؟ وكذلك في خبر الأعرابي .

والذي أراه أن « كذب » فعل له مكانه ومعناه في هذه النصوص وأرى أن معناه : « وَجَبَ » ويدل على ذلك ما ورد في الحديث : ثلاثة أسفار كذَبْنَ عليكم [٥١] . وأن تجرى الحديث على معنى « الوجوب » جيد وحَسَن ، وليس من قول في زيادة « كَذَبَ » ، ولم يؤثر في غير هذه النصوص هذه الزيادة في « كَذَبَ » .

١٠ — وقال الراجز :

يا بنْتَ عمّا لا تلومي واهجَعي [٥٢]

والمصراع من جملة رجز لأبي النجم العجلي ، وهو من شواهد النحو [٥٣] ، وهو من قطعة ذكرها العباسيّ في « معاهد التنصيص » [٥٤] وهي :

قد أصبحَتْ أمُّ الخيار تدّعي علَيَّ ذنباً كلّه لمْ أصنعِ

---

(٥٠) « اللسان » (كذب) .
(٥١) « النوادر » ص ١٧ .
(٥٢) « النوادر » ص ١٩ .
(٥٣) « اوضح المسالك » ١٢٥/٢ .
(٥٤) « معاهد التنصيص » للعباسي (بولاق) ص ٢٦ .

من أنْ رأتْ رأسي كرأسِ الأصلعِ ميّزَ عنه قُنْزُعاً من قُنْزُعِ
جَذْبُ الليالي أبطئِي أو أسرِعي أفناهُ قيلُ اللهِ للشمس اطلَعي
حتى إذا واراكِ أُفْقٌ فارجِعي

والبيت شاهد في قلب ياء المتكلم في المنادى إلى ألف ، والمعنى : يا بنت عمّي أو يا ابنةَ عمّي ، في رواية كتب النحو عامّة .

ومثل هذا قول نُفَيع بن جُرموز بن عبد شمس :

أطوِّفُ ما أطوِّف ثم آوي إلى أمّا ويُرويني النّقيعُ

قال المفضّل : كذا أنشدناه أبو العَدَرَّج « إلى أُمّا » كما يقال : يا أبا موضع يا أبي [55] .

أقول : هذا الذي ثبت في هذه الشواهد اللغوية في قلب ياء المتكلم ألفاً في النداء وغيره ما زال لغة طائفة من العراقيين في اللسان الدارج مقيداً بأسلوب النداء ، وهؤلاء هم أهل الموصل ، والموصليّ مثلاً يخاطب عمّه أو خاله فيقول : عمّا وخالا ، والمراد : عمّي وخالي .

١١ — وقال جُمَيح بن الطّمّاح :

وقد علِم الأقوام أيّي وأيُّكم بني عامرٍ أوفى وفاءً وأكرمُ [56]

وأراد : أيُّنا ، فكرّر .

---

(٥٥) « النوادر » ص ١٩ .
(٥٦) المصدر السابق ص ٢٠ .

أقول : ولجوء الشاعر إلى التكرار حجة في أن للشاعر لغة خاصة يجد في « سَعَتها » مجالاً للقول لا يعرض له ناثراً .

١٢ — قال أبو زيد وقال زهير بن مسعود الضبيّ :

فخيرٌ نحن عند النـــاس منكم إذا الداعي المثوِّب قال : يا لا [٥٧]

قال أبو حاتم : قوله : « فخير نحن » يريد : فنحن عند الناس خير منكم .

وقوله : « يا لا » أراد يا آل بني فلان ، وهو قول « المثوِّب » أي المستغيث .

أقول : وأنت أمام بناء هذا البيت تشعر أن الشاعر صاحب صنعة يتقن مزاولتها بين يَدَيه مقيداً بالوزن محمولاً على الإيجاز أحياناً وعلى ضده أحياناً أخرى .

وفي قوله: « يا لا » ضرب من الحذف لا يُوصَل إليه إلاّ في هذه اللغة الخاصة .

١٣ — وقال روحي بن شريك الضبيّ :

فإن تَرَيْ شَمَطاً في الرأس لاح به من بعد أسحَمَ داجي اللون فينانِ
فقد أررع قلوبَ الغانيات بـــهِ حتى يَمِلْنَ بأجيادٍ وأعيانِ [٥٨]

---

(٥٧) المصدر السابق ص ٢١ .
(٥٨) المصدر السابق ص ٢٢ .

وقوله : « أعيان » جمع عين وهي « الباصرة » معطوفة على « أجياد » جمع « جِيد » .

أقول : وهذا يعني أن « العين » على « أعيان » جمع صحيح لأن « فَعْل » يأتي جمعُه على « أفعال » ، غير أن المشهور في « أعيان » جمع عين فتقول : « أعيان » الناس بمعنى رجالهم ووجوههم ، و « الأعيان » جمع « عين » للجواهر والأصول ونحوها فالذهب عين ، والفضة عين ، والحديد عَيْن ونحو ذلك فنقول أعيان الأحجار وأعيان الشجر ونحو ذلك . فأما « العين » الباصرة فتجمع على « أعين » لأدنى العدد ، فتقول : ثلاثة أعين ، وعيون كثيرة .

ومجيء « أعيان » جمعاً للعين الباصرة يشير إلى سعة العربية وسماحتها وشجاعتها ، وهكذا يجد المعرب مجال القول فسيحاً .

١٤ — وقال عبدة بن الطبيب :

ولقد علمتُ بأنّ قصري حفرة غبراء يحملني إليها شرْجَعُ (٥٩)

أقول : « والقصر » في البيت يراد بها « القُصارى » أي آخر أمري وهو الموت والقبر . و « القَصْر » و « القُصارى » مصدران ، والأصل واحد والمعنى واحد ،و « القُصارى » في عربيتنا المعاصرة تعني « الخلاصة » و « الخلاصة » مستوحاة من « القصارى » بمعنى نهاية الأمر أو آخره .

---

(٥٩) المصدر السابق ص ٢٣ .

١٥ — وقال الأسود بن يعفُر :

ألا يا اسلَمي قبلَ الفراق ظَعينا   تحيّةَ من أمسَى إليكَ حزينا

. . . .

تحية مَن لا قاطعٍ حبلَ واصل   ولا صارم قبل الفراق قرينا (٦٠)

وقوله : « تحية من لا قاطع » أراد « تحيةَ رجل غير قاطع » .

أقول : وهذا الأسلوب من إضافة « من » إلى ما بعدها يفصل بينهما أداة النفي من أساليبهم في لغة الشعر .

١٦ — وقال عديّ بن زيد :

فليتَ دفَعتَ الهمَّ عنّيَ ساعةً   فبتنا على ما خيّلَتْ ناعمَي بالِ (٦١)

أقول : في هذا البيت وليَ « ليت » فعل ، وهذا لا يأتي ، ويقتضينا أن نقدّر ضميراً هو الهاء ، فكأنه أراد أن يقول : فليته . . . و « الهاء » هنا لا تفيد الغائب أو غائباً بعينه بل معناه « الأمر » ، فكأن التقدير : فليتَ الأمر .

وهذا كما تقول : إنّه زيد منطلق . . .

قلت : والضمير في « أنّه » يعود على مبهم .

ويحسن أن نرجع إلى قول الشاعر فنقول : أن يلي « ليت » فعل مسألة

---

(٦٠) المصدر السابق ص ٢٤ .
(٦١) المصدر السابق ص ٢٥ .

تظهر ما يعرض للغة الشعر الخاصة ، وهي رخصة لنا في عربيتنا المعاصرة ، وليت شعراءنا ولا سيما أهل الجديد يعرفون هذه السماحة في العربية القديمة فيفيدون منها .

١٧ — وأنشد أبو العباس « المبرّد » قال : أنشدني عماره لنفسه يصف نخلاً :

كأنّهُنّ الفَتَيَاتُ اللُّعْسُ كأن في أظلالهنّ الشمسُ (٦٢)

والقوافي مرفوعة ، يريد : كأنه في أظلالهن الشمس ، فإذا أضمر الكاف فالكاف للمخاطب ، والمخاطب لا يحتاج إلى تبيين ، وإنما تُبيَّن الهاء بالأمر إذا كانت مبهمة يفسّرها ما بعدها ، وإظهارها هو الجيّد ، وإنما يجوز إضمارها إذا اضطر شاعر .

أقول : وهذا البيت نظير قول عدي السابق في التماس « الغائب » وهو « مبهم » لا يرجع إلى واحد بعينه .

أقول أيضاً : وفي هذا الأسلوب سعة يفيد منها الشاعر ، وقد يكون للناثر أن يفيد منها ذلك أنها أسلوب في عربية فصيحة ، ولا أقيّد فصاحتها بقدمها في الجاهلية .

١٨ — وقال أبو ذؤيب الهذليّ :

وسوّدَ ماء المَرْدِ فاها فلونــه كلون النَّؤور فهي أدْماء سارُها(٦٣)

---

(٦٢) المصدر السابق .

(٦٣) المصدر السابق ص ٢٦ .

أقول : وقوله « سارُها » يريد « سائرها » .

إن عدول الشاعر عن « المهموز » ، وهو الصحيح المُتطلَّب ، إلى غيره كان بسبب حكم القافية وهي الراء المضمومة يليها الهاء وهو وصل .

هذا يعني أن للضرورة أحكاماً واسعة ، وفي الضرورات سعة أيما سعة ، وهذه الضرورة بعض سمات العربية الخاصة التي حفل بها الشعر القديم .

ثم راح أهل اللغة يلتمسون وجهاً في العربية لقول أبي ذؤيب « سارُها » فقالوا : ومثله ما في قوله تعالى : « شَفا جُرُفٍ هارٍ »[٦٤] ، وهو « هائر » .

١٩ — وقال خداش بن زهير :

رأيتُ اللهَ أكبرَ كلِّ شيءٍ محاولةً وأكثرهم عديدا
تَقوهُ أيّها الفتيانُ إنّي رأيت اللهَ قد غَلَبَ الجُدودا[٦٥]

وروى أبو حاتم : وأكثرهم جنودا .

وقوله : « تقوه » أي « اتّقوه » والفعل الأول مقتطع من الثاني وهو مزيد ، وتاؤه تاء زيادة ، والأصل « وقَى » ثم بُني على « افتَعَل » فأبدل الواو تاءً وأدغم في تاء « افتَعَلَ » .

وكأن ورود « اتّقى » في كلام المعربين كثيراً توهّموا أي تصوروا أن التاء في « اتّقى » أصلية فأخذوا فعلاً ثلاثياً أوله « تاء » . وهذا يعني أن الصلة ابتعدت بين « اتّقى » وأصله المجرد « وقَى » فكان ما كان .

---

(٦٤) من الآية ١٠٩ من سورة التوبة .
(٦٥) « النوادر » ص ٤٧ .

ومثل هذا الفعل « تَخِذ » والأصل « أخَذ » ثم بني على « افتَعَل » فصار بعد الادغام « اتّخَذ » فجردوا منه ثلاثياً على « فَعِل » مكسور العين إبعاداً له عن أصله الثلاثي القديم وهو « أخَذ » .

والفعل « تَقُوه » أمرٌ وماضيه « تقَى » ومضارعه يتقي » والأمر « تَقِ » كقول عبد الله بن همّام السلولي :

زيادتَنــا نُعمانُ لا تمحُوَنّها تَقِ اللهَ فينا والكتابَ الذي نتلو(٦٦)

٢٠ — وقال البعيث :

قد ينعَشُ الله الفتى بعد عَثْرَةٍ وقد يجمع الله الشتيت من الشّمَلْ
وذاكَ الفراق لا فراق ظعــائنٍ لهنّ بذي القرْحى مقام ومحتمل(٦٧)

وقوله : « الشّمَل » بفتح الميم للضرورة فاتبَعَ الفتحة فتحة .

وقد تُتبَع الكسرة كسرة كقول ابن رِبْع الهذليّ :

إذا تجاوَبَ نَوْحٌ قامَتــا معهُ ضرباً أليماً بسِبْتٍ يلعَجُ الجِلِدا(٦٨)

وأراد بـ « الجِلِد » الجِلْد فأتبَعَ الكسرة الكسرة ، ومثل هذا قول الراجز :

عَلّمَنا أصحابُنا بنو عِجِلْ الشَغْزَبِيَّ واعتقالاً بالرِّجِل(٦٩)

(٦٦) المصدر السابق .
(٦٧) المصدر السابق ص ٢٨ .
(٦٨) المصدر السابق ص ٢٩ .
(٦٩) المصدر السابق .

وكسر الجيم في «عجِل» و«ورجِل» اتباع للكسرة الأولى .

وهذا كله من السعة التي يجدها الشاعر القديم فيما أسموه «ضرورة» .

أقول : ما أبعدَنا في عصرنا هذا عن هذه السعة التي قد نحملها على الضعف .

٢١ — وأنشد سيبويه لجرير :

ألا أضْحَتْ حبالُكُمُ رِمامـــا   وأضحَت منكِ شاسعة أُماما

فأجرَى الترخيم في غير النداء لِما اضطُرّ ، وهذا من أقبح الضرورات ، وذلك أن النداء باب حذف ، ألا ترَى أن المنادى المفرد المعرفة يحذف منه التنوين ، فحذف في الترخيم أواخر المنادَيات كما حذف التنوين ، وأنشد المبرّد لعمارة :

وما عهـــدٌ كعهدكِ يا أماما

على غير ضرورة ، وهذا شيء يصنعه النحويون ليعرّفوك كيف مجراه متى وَقَع في شعر [٧٠] .

أقول : لقد قيّد اللغويون القدامى الترخيم بالنداء ، وكأنهم لمحوا أن العرب كأنهم يستطيلون في النداء المنادى إذا كان علماً ، وبسبب من هذا الطول خرموه من الآخر وقيّدوا ذلك بأمور ليس هذا موضع بحثها ، فكان باب الترخيم .

---

(٧٠) المصدر السابق ص ٣١ .

أقول : كأن النحاة لمحوا هذا حين قالوا : إن النداء باب حذف ، وهم يشيرون إلى المنادى المفرد المعرفة علماً كان أم غير علم ، فيحذف منه التنوين . ومن أجل ذلك ربطوا بين النداء والترخيم .

غير أن المنادى العلم المرخَّم لشيوعه وسيرورته أوجد علماً مرخّماً في غير النداء ، فكما كان « ميّة » من أعلامهم للإناث صار لهم « مَيّ » من أعلام الإناث ، وكأنّ « ميّ » هذه لا صلة لها بالأصل ، وأكثر ما يتضح هذا في الأعلام الحديثة .

ولعل شيئاً من هذا قد حدث في عصور العربية ، وربما كان هذا مما جرّأ الشاعر جريراً أن ينشد البيت « موضع الشاهد » .

وأقول : إن قولهم في ترخيم « أمامة » في بيت جرير من أقبح الضرورات ليس بشيء . وكما عرض هذا لجرير عرض مثله لذي الرمة :

ديـارُ ميّةَ إذ ميٌّ تُساعِفُنا ولا يرى مثلَها عُجْمٌ ولا عرَب[71]

أقول : لقد وردت « ميّة » في قول ذي الرُمّة ، ثم جاءت « ميّ » في غير النداء مرخمةً وكأن الشاعر أدرك أنّ « ميّ » هذه علم آخر فكما يُسمّى « ميّة » يُسمّى « ميّ » وإن كان المسمّى واحداً .

٢٢ ــ وقال قُعَيس بن بُرَيد :

فإنكنتَ لا تنوي لتُعذَرَ في دمٍ مصابٍ ولا مالٍ مجوحٍ ولا عُقْرٍ[72]

(٧١) المصدر السابق ص ٣٢ .
(٧٢) المصدر السابق ص ٤٢ .

والمَجوح المال الذي أصابته جائحة فذهبَت به .

أقول : والفعل « جاحَ » فعل مجاوز ، ولكننا أضعناه في العربية المعاصرة ولنا منه المزيد « اجتاح » ، والجائحة هي المصيبة أو النازلة التي تنزل بالناس فتهلك النبات والشجر والحيوان . و « الجائحة » بهذا المعنى معروفة في العامية السائرة في القطر الجزائري .

وقوله « والمَجوح المال الذي . . . » يراد فيه بـ « المال » الماشية الإبل والغنم . وهذه دلالة « المال » في كتب اللغة القديمة .

٢٣ — وجاء بعد هذا البيت للشاعر نفسه قوله :

فهل أنت مُدنٍ ذا الحِلاق فراجمٌ به الحَلَّ ، والمخلوج من أمرنا مُمْري[٧٣]

قال أبو الحسن الأخفش : وكان ينبغي أن يقول : « مَمْريّ » ، مثل رميته فهو مَرْمِيّ ، ولكنه اضطُر فحذَفَ إحدى الياءيْن تخفيفاً .

أقول : لقد أشرنا في مواضع سابقة إلى أن الشاعر القديم قد يبدل بناءً ببناء مسايرة للقافية وحكم القافية يتسع لأشياء كثيرة ، وهذا من « الضرائر » وإن كان فيه جورٌ على المعنى المراد .

٢٤ — وقال عريب بن ناشب :

ألمْ ترَ أنّ المالكيّاتِ قادني هَواهُنّ حتى كدتُ في الحيّ أحجُ[٧٤]

---

(٧٣) المصدر السابق ص ٤٣ .
(٧٤) المصدر السابق .

وفي قوله : « أَلْحَجُ » ترك للإدغام .

أقول : وقد كنا قرأنا في كتب البلاغة أن من سمات الفصاحة عدم مخالفة القياس ، والقياس مثلاً وُجوب الادغام في أحوال معروفة ، فإن لم يدغم المتكلم في تلك الأحوال كان مخالفاً للقياس ، وكانت الكلمة التي ترك فيها الادغام غير فصيحة . ومن أجل ذلك أخذوا على المتنبي قوله :

« فلا يُبرم الأمرَ الذي هو حالِلُ »

والمتنبي قد ترك الادغام ليستوي له النظم والوزن ، وذلك لأن الكلم المضاعف على « فاعَلَ » و « افعالّ » نحو « ضامّ » و« احمارّ » [٧٥] لا يمكن أن يدخل في وزن من أوزان الشعر العربي .

وكأن المتبني في ترك الادغام في البيت قد تأسّى بما في العربية القديمة من هذه الظاهرة اللغوية . ومن ذلك قول الراجز :

الحمد للهِ العليّ الأجلَلِ [٧٦]

وكقول العجّاج :

تشكو الوَجَى من أظلَلٍ وأظلَلِ
من طول إملالٍ وظهر أملَلِ [٧٧]

---

(٧٥) اقول : ومن غير شك ان المعربين في نظمهم قد همزوا هذه الابنية هربا من الثقل فكان من ذلك احمأرّ واجثألّ واخضأبّ واكبأنّ وغير هذا .
(٧٦) المصدر السابق ص ٤٤ .
(٧٧) ديوان العجّاج (ط دمشق) .

وكقول قَعْنَب بن أمّ صاحب :

مهلاً أعاذل قد جرّبتَ من خُلُقي أني أجود بأقوامٍ وإن ضَنِنوا[78]

أقول : وهذه النماذج تشير إلى أن ترك الادغام شائع في العربية القديمة ، وليس من ضرورة في الوزن فرضت على الشاعر أو الراجز أن يترك الادغام حيث يجب الادغام كما يقول اللغويون .

أريد أن أقول : لا بد أن يكون ترك الادغام لغة في العربية القديمة ، وكونها « لغة » يعني أنها غير شائعة شيوع الادغام لدى عامة العرب . والذي يقوّي عندي هذا الرأي ما أجده في اللغة العامية الدارجة ولاسيما في العراق ، وذلك أن طائفة من الناس في إقليم معين من وسط البلاد يتركون الادغام فيقولون : هو حالِلٌ المسألة ، ويريدون : هو حالٌّ ، وهو شادِدْ الخيط ويريدون : هو شادٌّ . . .

على أن آخرين في جهات أخرى من العراق وهم الجمهور الواسع يلتزمون بالادغام فيقولون هو حالٌّ المسألة ، وهو شادٌّ الخيط .

ولنعرض لشيء ورد في الشعر ولم يرد في النثر وقد سمّوه بـ « الضرورة الشعرية » ، وهذه الضرورة رخصة للشاعر يجد فيها فسحة أن يقول شيئاً « اضطراراً » ليهتدي به إلى القافية ، وحكمها حكم عظيم ، وليستوي له بناء الشعر على وزنٍ من الأوزان المعروفة .

و « الاضطرار » حَرَج و « ضَرَر » ، واللجوء إلى هذه « الضرائر » « ارتكاب » ، وهكذا كأن هذه « الضرورة » إثم يقترفه الشاعر ليصير

---

(78) « اللسان » (ضنن)

إلى ما يريد . وجملة هذه المسائل تجعل هذه اللغة لغة خاصة هي لغة الشعر ، ثم يضاف إليها ما ينكفىء إليه الشاعر في حركة دائبة من التقديم والتأخير في الكلم في بناء البيت .

قلت : « إن الضرورة » اضطرار ، والاضطرار حمل النفس على ما لا تقبله فهي « ضرر » يلحق بالبيت فيحيله إلى أسلوب خاص . ألا ترى أنهم قالوا : عدم تنوين المنوّن من أقبح الضرورات ، والعكس من أحسن هذه « الرُخَص » ؟

لقد أفاضوا في الكلام على الضرائر وقصروها على مسائل لا يمكن للناظم أن يتجاوزها إلى شيء يستجدّه فقالوا : « لايجوز للمحدَث أو المولّد أن يحدِث شيئاً منها غير ما أحدَثَه الأوائل » (٧٩) . وقد صنفوها بحسب السماع والشذوذ إلى :

مقيسة ومسموعة وشاذة عن القياس والسماع (٨٠) ، وهي بحسب موضعها من البيت : صدرية وعجزية وحشوية (٨١) .

وكان الابتعاد عن « الضرورة » عندهم من المحاسن فقد امتدح أبو العلاء شعر أبي الحسين النكتي في رسالة بعث بها إليه يشير فيها إلى أنه برّأ شعره من « الضرورات » (٨٢) .

ومن هذه « النوادر » الغرائب الشيء الكثير ، ولم يسلم منه الجاهليون ،

---

(٧٩) الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للآلوسي ص ٩ .
(٨٠) رسائل أبي العلاء المعري ص ٦٥ .
(٨١) المصدر السابق ص ٧٨ .
(٨٢) المصدر السابق .

وهذا يعني أن لغة الشعر امتحنت الجاهليين وهم أهل الفطرة والسليقة السليمة فكان لهم منها قدر كبير كله من « الغرائب » التي لا تعرض لأصحابها إلاّ عند الحرَجَ الشديد .

وهذه « الغرائب » وإن كانت رخصة يجد أهل النظم في حدودها فسحة ، فهي « ضرر » وهي « ارتكاب » ، ثم إن الشعر يتحول فيها إلى لغة فيها من « الصنعة » و « الاصطناع » ما يبعده أن يكون لغة « الطبيعة » المنطلقة على سجيتها .

وإذا لم يصحّ هذا فكيف نقول في بيت لبيد :

درس المنا بمتالعٍ فــأبانِ [٨٣]

وقد أراد بـ « المنا » المنازل ، والقول مشهور في شواهد النحو القديم ، وقد جاء في كتب النحو عامة .

وكقول علقمة :

كأنّ إبريقهم ظبيٌ برابيــــةٍ مُنطَّقٌ قُضُبَ الريحان مفغومُ
أبيض أبرزهُ للضحّ راقبـــــه مُقَلّدٌ سبأ الكتّانِ مفــدومُ

وقد أراد بـ « سبأ الكتّان » سباسب الكتّان .

وقد أكثر اللغويون الأوائل في « شواهدهم » من الأرجاز ، وهي ،

---

(٨٣) البيت في « الديوان » (ط الكويت) وفي كتب النحو عامة ، وهو من شواهد « الكتاب » .

غريبة ، وقد كان شيء منها لا يعرف قائله ، ولا أراني محمولاً على الشكّ في صدقها إذا عرفت أن الجاهليين من أصحاب المطوّلات « المعلّقات » قد ارتكبوا شيئاً من ذلك كلبيد وعلقمة وزهير وامرىء القيس وغيرهم .

قال امرؤ القيس :

كأني بفتخاء الجَناحَين لَقْوةٍ دَفوف من العقبان طأطأتُ شيمالي

وقد اضطر فزاد الياء في شمال » .

وعلى هذا يكون منه قول الراجز :

لا عهد لي بالنيضالْ كأنّني شيخٌ بالْ [٨٤]

فزاد الياء في « النضال » .

ومثله قول الآخر :

أعوذُ باللهِ من آلِ العَقرابْ المصغيات الشائلات الأذنابْ

والأصل : العَقرَب .

ومن هذا ما كنا نقرؤه في شواهد النحو في شروح ألفية ابن مالك ، وما ذكره الرضي في شرح الشافية ، وسيبويه في « الكتاب » وهو قول ابن هرمة :

---

(٨٤) رسائل أبي العلاء ص ٧٨ .

فأنتَ من الغوائل حين ترمي وعن شتم الرجال بمُنْتَزاحِ

والمراد : بمنتزح [85] .

ومن هذه « النوادر » قول زهير :

عليهنّ فرسان كرام لبــاسهم سوابيغُ زُغْفٌ لاتخرّقُها نَبْلُ [86]

أقول : وهذه « الضرورة » في زيادة الياء في « سوابغ » غير مقتضاة ، والوزن يستقيم بـ « سوابغ » وكذلك جاءت في « الديوان » .

ومن هذا أيضاً قول الراجز :

خَوْدٌ أناة كالمَهــاة عُطبولْ كأنّما نُكْهتُها القَرَنفولْ [87]

والواو في « قرنفل » زيادة للضرورة .

وكأنّ الشاعر الأموي الوليد بن يزيد وجد في أقوال الجاهليين ما دفعه إلى أن يقول في حال من « الاضطرار » :

إني سمعتُ بليــلٍ نحو الرصافــة رَنّهْ
خرجت أسحبُ ذيــلي أنظورُ ما شأنُهُنّهْ [88]

---

(85) وكان المعري يرى في هذه المشكلات الصوتية وهي مد الحركات « شواذ وزيادات » . انظر « رسالة الملائكة » ص ٢١٧ (تحقيق سليم الجندي) .
(86) رسالة الملائكة ص ٢٠٧ .
(87) الضرائر للآلوسي ص ٢٨٣ .
(88) رسالة الصاهل والشاحج للمعري ص ٤٧٧ (ط دار المعارف ١٩٧٣) .

فزاد الواو بعد الضمة في « أنظر » .

وقد قسر الشعراءَ الوزن فعمدوا إلى ما لا يقولون في غير هذه المواضع التي امتحنوا بها كقول زهير :

لم يلقهـــا إلاّ بشكّةِ باسلٍ   يخشى الحوادث حازمٍ مستعددِ

والصواب : مستعدّ .

ومثله قول العجاج :

إن بنيَّ لَلِئــامٌ زَهَــدَهْ   ما ليَ في صدورهم من موْدَدَهْ[89]

إن هذه « الضرائر » جعلتهم يغيرون في المتعارف من « الأصول » فقد أنثوا المذكر [90] ، كما في قول القائل :

وحمّال المئين إذا ألمّــتْ   بنا الحدثانُ والأنفُ الغيورُ [91]

وتأنيث « الحدثان » للضرورة .

---

(٨٩) المصدر السابق ص ٤٣٥ ، وانظر « الضرائر » للقزاز القيرواني (الاسكندرية ١٩٧٢) .
(٩٠) المصدر السابق (القزاز القيرواني) ص ٩٤ .
(٩١) رسالة الصاهل والشاحج ص ٤٣٧ .

خاتمة :

هذه نماذج كثيرة في النحو واللغة والأبنية والدلالة وردت في هذه اللغة « الخاصة » وهي لغة الشعر ، وقد آثرت أن ألم هذا الشتيت الذي لا يتنكّر بعضه لبعض ، وأبسطه بين يدَي الدارسين « قطوفاً » و « نوادر » تدفع القارىء إلى التأمل في تاريخ تطور هذه اللغة ، ولعل في بعض البحث في ذخائر الأدب القديم جدّة لا تفتقر إلى أصالة .

من أبنية العربيـــة

ما جاء على بناء « فِعْل » بكسر فسكون .

وهذا ما يأتي من الأصل الثلاثي لإفادة الاسم غير المصدر ومن ذلك مثلاً : « القِسْم » وهو الجزء أو الحظ أو ما يقرب من هذا .

ومن ذلك :

الذِّبْح : للمذبوح ، قال تعالى : « وفَدَيناه بذِبْح عظيم » . ١٠٧ سورة الصافات .

والقِتْل : العدوّ ، والجمع أقتال ، قال ابن قيس الرقيّات :

واغترابي عن عامر بن لؤيٍّ   في بلادٍ كثيرة الأقتالِ

والقِدُّ : الذي تخصَف به النعال .

والمصدر هو « القَدّ » بالفتح ، والفعل قَدَّ يقُدُّ بمعنى قَطَع[1] يقطع .

---

(١) والقد بمعنى القطع من الكلم القديم ، والقديد هو المقطوع ، وقد انصرف الى الشيء المقطوع ، وفي الحديث : « أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » وهو اللحم اليابس الذي يقطع . وقد بقي شيء ، هذا في عامية العراقيين فهم يصفون الجديد بقولهم « قد » فيقولون : جديد قد وكأنهم يعنون ان العهد به أو بقطعه غير بعيد .

وكأنّ الكلم الثلاثي في العربية التي يجيء مصدرها على« فَعْل » تتحول فتبنى على « فِعْل » ليكون من ذلك الاسم الذي يقع عليه الفعل كما هو واضح في « الذَّبْح » و « الذِّبْح » و « القَتْل » و « القِتْل » . وأنت ترى ان « الفتحة والكسرة » من أصوات العربية التي تدخل في توليد الخصوصيات الدلالية ، ومثل هذا الضمّة أيضاً . وهذا يعني أنّ التسمية لهذه الأصوات الدلالية بـ « الحركات » لا يفي بالمراد .

أقول : والتسمية بـ « الحركات » يحملنا على اعتبارها شيئاً لا يبلغ مرتبة الأصوات الأخرى وأقصد بها الأصوات الساكنة وهو ما يدعى بـ « Consons » ، ومن أجل ذلك أهملت فلم ينظر إليها كما ينظر إلى غيرها من الأصوات ، كما أهملت في الرسم .

وهذا الذي بسطناه في بناء « فَعْل » وبناء « فِعل » قد يبتعد عنه ، ومن ذلك كلمة « قَدّ » هذه بفتح القاف فقد جاء في معانيها أنها جلد السخلة الماعزة ، وقال بندار [1] :

لو أبصَرَتْني أختُ جيراننـــا   إذْ أنا في الحيّ كأنّي حِمارْ
إذ أحملُ القَدَّ عـلى آلـــةٍ   تحلُبُ لي فيها اللّجابُ الغِزارْ

و « القَدّ » في البيت هو الرجل الضعيف على التشبيه ، و « الآلة » الحالة . وجمع القَدّ أقُدّ وقِداد .

ومن هذا الكلم أيضاً :

---

(١) بندار بن عبد الحميد الكرخي الاصبهاني من أعلم اهل زمانه بالشعر اتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان . انظر معجم الادباء ١٢٨/٧ .

القَرْن : وهو مصدر الفعل « قَرَن » بمعنى جعله قِرناً أي مثله ، وقَرَنه به أي وصله به .

والقِرْن : الذي يقاومك في قتال أو علم . وكأن هذا المعنى في حقيقة دلالة الفعل دل على المعاني التي يترشح منها ما يقرب من هذا ، ومن ذلك :

القَرَن : (بفتحتين) : أن يلتقي طرفا الحاجبين ، وهو مقرون الحاجبين ، وكبش أقرن أي بيِّن القَرَن . ونستطيع أن ندرك هذه الدلالة الأصيلة في أبنية أخرى من هذه المادة هي :

القَرون والقرين والقرينة والقَرونة ويقال : سمحت قَرونه وقرينة ...

أي تبعته نفسه .

• الغَسْل : مصدر غَسَل ، والغِسْل ما يُغْسَل به الرأس من خِطْميٍّ ونحوه .

أقول : وقد يُتَوسَّع في إحياء « الغِسْل » لينصرف إلى المستحضرات الجديدة التي تستعمل بدلاً من الصابون وهو ما يسمى بـ«شامبوا» (Champoi)

والغُسْل : الماء الذي يغتَسَل به وهو « الغَسول » وسنذكره في بناء « فَعول » .

والفِقْع (بكسر الفاء وفتحها) الكمأة . وقالوا : فِقْع قَرقَرة وهو ضرب من الكمأة بيضاء تنجلها الدواب بأرجلها ، يشبَّه بها من لا خير فيه .

والفِلّ : الأرض التي لم يصبها مطر ، جمعها أفلال .

والسَّمْع : الذِّكْر ، يقال : ذَهَبَ سِمْعه في الناس ، أي صيته .

والسمع : ولد الذئب من الضبع ، وهو مشهور بقوّة السَّمْع ، فأنت تدرك العلاقة بين المصدر والاسم . والنِّقز هو الفسل الرديء وليس من علاقة مع المصدر « النَّقْز » بمعنى القَفْز .

وليس بعيداً هذا قولنا الخَيْر وهو ضد الشرّ ، وأما الخِير فهو الكرم ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — « خِيرَة » الله من خَلْقه .

و « الحِسّ » : وجع يأخذ النُفَساء بعد الولادة .

و « الخِرْص » مقدار ما يخرص من النخل ، والمصدر « الخَرْص » : وهو حزر النخل ليعرف ما عليها من تمر . والرَّعي مصدر رَعَى يرعَى ، فأما الرِّعْي فهو الكلأ .

وكِسْر البيت جانب منه ، والمصدر الكَسْر .

والنّقض مصدر بمعنى الهَدْم ، والنِّقْض هو المنقوض ، وفلان نِقْض أي ضعيف متعب والمَسْخ مصدر الفعل مَسَخ ، فأما المِسْخ فهو الممسوخ .

والسِّقط هو الشرارة تخرج من قدح الزند ، والسَّقْط كالسقوط مصدر .

وهذا باب كبير لا أريد أن أستوفيه ، وفي الذي ذكرته كفاية .

ولنا أن نلحق بهذا قولهم : قيت فلان اللبن ، أي قُوته ، والقِيتة :

القُوت . وقاتَ أهلَه قَوتاً هو المصدر . ويقال : ما عندي بيتة ليلة وبِيتُه، ومبيته أي قوت ليلة. والمصدر البَيت والبيات والبيتوتة. وقد يكون « فِعْل » نعتاً معاقباً لـ « فعيل » كقولهم : هو لِصْقُه ولصيقه ، وعلى البدل لِسْقُه ولسيقُه والهَضْم والهضيمة : الظلم ، والهِضْم المطمئن من الأرض .

بناء فَعِل :

ومن أبنية النعت « فَعِل » ويأتي هذا في طائفة كبيرة من الأمثلة ، ومن هذا الكثير ما يأتي منه « فَعُل » في الوقت نفسه ومن ذلك :

فَطِن وفَطُن ، وطمِعٌ وطَمُع ، ورجل نَجِدٌ ونَجُدٌ أي شجاع .

ورجل نطِس ونَطُس للمبالغ في الشيء . ورجل يَقِظ ويَقُظ . ورجل نَكِر ونَكُر ، ونَكْر .

ونتحول إلى بناء « فَعول » وهو نعت كثير واسم ينصرف إلى ما يشرب من العلاجات ، وإلى المأكول والمطعوم وغيره ومن ذلك :

السَّفوف : وهو دواء يَسَفّه المريض أي يشربه . والسَعوط : دواء يُصَبّ من المُسعُط في الأنف .

والسَّنون: دواء يُستاك به . واللَّدود : الدواء يسقى في أحد شِقّي الفم.

والقَيوء : الدواء يُشْرَبُ للقيء .

والقَرور : الماء البارد يغتسل به .

والنَّشوع : الوَجور يُوجَره الصبيّ أو المريض ، وكذلك الوَشوع .

والوَقود : هو الحَطَب ، قال تعالى : « النار ذات الوَقود » . والوُقود (بالضم) هو التوقّد .

والوَضوء : الماء يتوضّأ به . والعَقول : دواء يُمسك البطن ، والمصدر العَقل .

و « الفَطور » و « السَحّور » و « الشَروب » ، وماء شريب وشروب للماء بين الملْح والعَذب .

والسَّنوت : هو الكمّون .

والوَضوخ : الماء يكون في الدلو شبيهاً بالنصف . والنَّضوح : الحوض ، سُمّي بذلك لأنه ينضح العطش . وحلأتُ له حَلوءاً إذا حككت حجراً على حجر .

والحَمول بمعنى المحمول ومؤنّثه بالهاء ، وكذلك كل « فَعُول » بمعنى مفعول كالحَلوب والحلوبة . وناقة خَلوج ، إذا خَلَج عنها ولدها بذبح أو موت أو هبة .

و « الحَمولة » : ما يتحملون عليه ، قال تعالى : « ومن الأنعام حَمولةً وفَرشاً » فالحَمولة الكبار ، والفَرش الصغار .

والحَصور : البخيل الذي لا يشرب مع القوم ، قال الأخطل :

وشاربٍ مُربح بالكأس نادمني لا بالحَصور ولا فيها بسَوّارِ

والسَّوّار : من سار يسور إذا وثب من عربدته ، ويُروَى : « سئّار » أي لا يُفضِل فيها .

ومن الأبنية بناء « فُعَلَة » يفيد المبالغة وغيرها ، ومن ذلك :

رجل صُرَعة : شديد الصراع .

رجل ضُجَعَة : عاجز يلزم بيته ، وكثير الاضطجاع .

رجل ضُحَكَة : كثير الضحك على غيره ، فأما رجل ضُحكة فهو المضحوك عليه .

وامرأة طُلَعَة : تكثر التطلّع . وقالوا : امرأة طُلَعة قُبَعة ، أي تُطلع ثم تقبَع رأسها أي تدخله . ونعجة شُرَبة : كثيرة الشُرب .

ورجل حُمَدَة : يكثر حَمْد الأشياء ، ويزعم فيها أكثر مما فيها ، وأما قولهم « حُمْدة » فهو الذي يُحْمَد . ومثل هذا رجل خُدَعة للكثير الخَدْع ، فأما الخُدْعة فهو الذي يُخدَع .

ورجل سُؤَلة للكثير السؤال . ورجل أُمَنَة : للذي يثق إلى كل واحد .

ورجل قُذَرة : وهو الذي يتنزّه عن الملائم .

ورجل قُعَدة : لا يبرح ، كثير القعود ، ورجل شُرَبة للكثير الشرب.

ورجل لُعَبة : كثير اللعب ، ورجل وُلَعة : يكثر الوَلوع بما لا يعنيه .

ورجل نُوَمة : كثير النوم ، وأما رجل نُومة فهو الخامل الذكر ، لا يُؤبَه له .

ورجل نُتَفة : فهو الذي يأخذ من العلم شيئاً ولا يستقصيه .

وهو نُكَحة : أي كثير النكاح ، وهو هُذَرة بمعنى كثير الهذر .

ورجلٌ هُقَعَة : يكثر الاتكاء والاضطجاع بين القوم ، وهو حُوَلة للكثير الاحتيال ، ومثله حُوَّل . وهو هُمَزة لُمَزة أي يهمز الناس ويَعيبهم ، قال تعالى : « ويلٌ لكل هُمَزة لُمَزة » .

ورجلٌ تُكَأة : كثير الاتكاء ، وهو وُلَجة للكثير الولوج .

وغير هذا كثير . وقد رأينا أن في الذي بسطته ما يمكن أن يكون من الكلم الجديد الذي تفتقر إليه العربية المعاصرة . وقد رأينا أن الدلالة العامة لهذا البناء هي المبالغة ، ولكننا وجدنا إلى جانب ذلك خصوصيات دلالية مفيدة كقولهم : رجل نُتَفَة . وبعير غُسَلة للكثير الضِّراب ولا يُلقح . ثم إننا وقفنا على أن « فُعَلة » قد يكون إلى جانبه « فُعْلة » وكأنهما ضدّان فالضُحَكة الذي يضحك كثيراً في حين كانت الضُحْكة بالسكون للمضحوك عليه ، ومثل ذلك « حُمَدة » و « حُمْدة » .

ولنا أن نقول أن بناء « فُعْلة » بالسكون إذا أطلنا فيه الاستقراء اهتدينا إلى أنها بمعنى « مفعول » ، وهذا يدفعنا إلى القول إنه يفيد اسم المفعول قبل أن يكون قياس هذا على مفعول ، ومن ذلك الكُسوة ، واللُقمة ، واللُهنة ، والنُبذة وغير ذلك ، وهذا شيء من سماحة هذه اللغة قبل أن نكون دلالة على سعتها .

بناء فُعال :

ولنتحول إلى بناء « فُعال » من أبنية النعوت الذي يفيد الوصف مع شيء من المبالغة في كثير من الكلم ومن ذلك :

رجل ضُخام ، وهو أكثر من الضخم .

ومن غير شك أن الطُوال أكثر من الطويل .

ورجل ظُراف للكثير الظَّرف ، وحكى الفرّاء : رجلٌ ظُرّاف مع التشديد .

ورجل وُضّاء روضيء . وقالوا : رجل قُرّاء أي قارئ ، وأنشد الفرّاء عن أبي صدقة الدُّبيريّ من بني أسد :

بيضاء تصطاد الغَويّ وتَستْبي   بالحسنِ قَلْبَ المسلم القُرّاءِ

ورجل كُبار للكبير ، وأكثر منه كبّار بالتشديد ، وفي التنزيل العزيز :

« ومَكَروا مَكْراً كُبّارا » ٢٢ سورة نوح .

ومثل هذا : رجل كريم وكُرّام .

ومثل هذا « عُظام » وهو الكبير الضخم ، وهو أكثر من العظيم .

وكذلك قُصار .

ونحمل على هذا سائر الصفات من هذا الباب نحو هُمام وشُجاع وعُجاب وغيرها .

وقد يلتقي في بناء « فُعال » بالضم الوصف كما بينّا والأدواء ، وهي مصادر ومنها الصُداع والهُيام ومنها الحُمال ، وهو داء يصيب مفاصل الإنسان ، وقوائم الحيوان فيَعرَج منها . ومثله القُلاب لوجع القلب ويُحمَل عليه الزُحار والخُناق وغير هذا .

ومن مصادر هذا الباب ما يدل على الأصوات كالسُعال والصُّراخ والبُكاء والحُداء وغيرها . ويعاقب هذا بناء « فعيل » للأصوات كالنعيب والنعيق والنهيق والصهيل والهديل وغيرها .

وقال الفرّاء : سمع الله دُعاءه وغُواثه ، بالضم والفتح . ولم يجيء من الأصوات بالكسر إلاّ القليل نحو الغِناء والنِداء .

ولنعد إلى « فُعال » في النعوت ، فنجد أن في العربية ميلاً للزيادة بالياء لزيادة الصفة ، ومن ذلك : الأُذاني للعظيم الأذنين . وكبش آذَن ونعجة أذناء . وهذا يعني أن الأُذاني خاص بالعاقل . ومثـل الأُذاني « الرؤاسيّ » للعظيم الرأس .

وكذلك قالوا : سُتاهي لعظيم الاست وهو السُّتْهُم أيضاً ، وهو أكثر من الأستَه والسَّتهاء .

ومن هذه الزيادة ألمعيّ ويَلمعيّ وزيادة الياء لغير النسب تحقق المبالغة .

وقال رؤبة :

والدهر بالإنسان دوّاريُّ

والياء تفيد هذه الزيادة وليست للنسبة ، وعلى ذلك يكون الأحمريّ والأخضريّ . وليس بعيداً أن يكون من هذا « الرئيسي » وذلك لأن الوصف « رئيس » يعبر عما يراد بـ « الرئيسي » ، وعلى هذا فالياء فيها لغير النسب ، وهو شيء يدخل في إفادة الزيادة .

بناء مفعول :

وهذا يؤدي اسم المفعول كما اصطلح عليه أهل الصرف ، وليس من إشكال في هذا البناء في الأفعال الثلاثية المجردة المجاوزة ، ولكن الأشكال في الفعل الأجوف ولاسيما ما كان يائياً نحو باعَ وكالَ ، فاسم المفعول منهما مَبيع ومَكيل كما أن اسم المفعول من صانَ وقالَ ، مَصون ومَقول .

وقال أهل الصرف إن أصل مَبيع ومَكيل مَبيوع ومَكيول ، وأصل مَصون ومَقول مَصوون ومَقوول . ولو اننا درجنا مع أهل الصرف في سلوك الطريق إلى مبيع ومكيل لارتكبنا شططاً [1] ولجرنا على العربية وتاريخها ولا أرى أن هذا الذي سلكه الصرفيون من العلم ، والذي أراه أن :

مبيع ومَكيل صيغتان مختصرتان مخفّفتان للاعراب عن اسم المفعول ، وكذلك مَصون ومَقول ، وهما مستعملتان لدى قوم إلى جانب مَبْيوع ومَكْيول ومَصْوون ومَقْوول لدى قوم آخرين . وهذا يعني أن الصيغتين عرفتهما العربية ، وأن الناس قد أعربوا بأيّ منهما ، ومن يدري لعل الذين التمسوا التخفيف غير أولئك الذين درجوا على الأصل بغير الحذف .

ويدل على هذا ان اللغويين أثبتوا : ثوب مَبيع ومَبْيوع ، وطعام

(١) ذكر الصرفيون ان « مَبيع » أصلها « مَبْيوع » ، وأما كيف جرى هذا التحول فقد قالوا : ان الضمة على الياء نقلت الى الصحيح الساكن قبلها وهو الباء ، فالتقى ساكنان وهما الياء والواو فحذفت الواو ، ثم ابدلت ضمة الباء المنقولة الى كسرة لتناسب الياء فحصل بعد ذلك كله « مبيع » .
أقول : وفي هذا كله جملة مسائل قائمة على أساس من خطأ في معرفة الاصوات ولا سيما أصوات المد ، فقد خلطوا بين الياء وهي حرف مد لين وبين الياء الشجرية ، وهناك أخطاء أخرى .

مَكيل ومَكْيول ، وثوب مَخْيط ومَخْيوط وثوب مَصُون ومَصْوون ، ومسك مَدوف ومَدْووف ، وأرض مَصيفة ومَصْيوفة ، وأرض مَغيثة ومَغْيوثة .

ولا بد أن نلحق بهذا البناء كلمتين أخريين ابتعدتا قليلاً عن « مَفعول » وهما :

« مُغلوق » بضم الميم وهو واحد المغاليق .

و « مُغفور » وهو شيء ينضحه العُرفُط ، حلو كالناطف ، ويقال فيه : مُغثور على البدل . وضم الميم في هاتين الكلمتين قد يحملنا على القول : إنهما صورة قديمة لـ « مَفعول » بفتح الميم ، وكون أن العربية خلت من ثالث لهاتين الكلمتين ، يشير إلى أنهما بقية قليلة من هذا البناء المضموم الميم .

ولعل في طوقنا أن نحمل على بناء « مَفعول » بالفتح ما هو شائع في العربية المعاصرة ، ولاسيما في الألسن الدارجة نحو : مَدْيون ومَعْيون ومَعْيوم وغير ذلك .

وهذا كثير في الألسن الدارجة وهو عام فيما كان من بنات الواو أو بنات الياء فهم يقولون : مديوس كما يقولون : مَطْيور ومَشْيون ومَصْيود وغير ذلك .

الأصول بين الواو والياء :

وأريد بالأصول الأفعال التي عرفت في العربية ودرج عليها الدارسون ،

ولزمت حالاً معينة فقيل ان الفعل « قال » مثلاً من ذوات الواو ، ومستقبله « يقول » ومصدره قول ، فإن وجد قال يقيل فذاك شيء آخر يؤدي معنىً لا صلة له بالأول .

ولم أعن في هذا الدرس بهذه الأفعال التي تكون من ذوات الواو فتؤدي معنىً ، وهي من ذوات الياء في معنى آخر ، ولكني أقصد بالأصول تلك الأفعال التي وردت بالواو والياء في دلالة واحدة مشتركة ، وإن شاع فيها اختصاصها بالواو مثلاً أو بالياء .

ومن هذه الأفعال ما أنا ذاكره على سبيل التوسع وليس الاستيفاء التام ، وهي :

قالوا : أتيتَه وأتوته بمعنى جئتَه ، قال خالد بن زهير :

يا قوم ما لي وأبا ذؤيبِ كنت إذا أتَوْتُه من غَيبِ
يَشمّ عطفي ويَبُزُّ ثوبي كأنّما أرَبْتُهُ بريْبِ

وليس من حاجة إلى الاستشهاد على مجيئه بالياء فهو الكثير المعروف .

وقد بانَه يبونَه بَوناً إذا فاتَه ، والياء لغة ، أي أن الكثير الشائع هو ما ذكر ، وأما بانه يبينه بيناً فهو لغة بمعنى أنه لغة خاصة قليلة ، وبينهما بَيْن بعيد .

وقالوا : حَلَيت الشيء في عينه ، وحَلَوته أحلوه حَلْواً وحُلْواناً ، إذا رهبتَ له شيئاً على شيءٍ فَعَلَه بلك ، قال علقمة بن عبدة :

ألا رجلاً أحلوه رحلي وناقتي يُبَلِّغُ عنّي الشعرَ إذ ماتَ قائلُهْ

وقالوا : سَحَوتُ الطين من الأرض وسَحَيتُه إذا قشرتَه .

وقالوا : سَخَتَ نفسُه تسخو ، وسَخَيتُ ، وسَخِيتَ تَسْخَى .

وقالوا : صَغَوتُ وصَغَيتُ إذا مِلْتُ .

وقالوا : طَغَوتُ وطَغَيتُ ، يطغُو ويطغَى . وطَغِيَ يطغَى لغة (أي قليلة) .

وقالوا : طَلَوتُ الطَّلِيَّ وطليتُه إذا ربَطتَه في رجله .

وطَلِيَ الفمُ يطلَى طلىً إذا يَبِسَ من العطش .

والطَلَوان : ما يَبِسَ على الأسنان من الريق .

ولنرجع إلى المعنى الأول فنقول: سُمّي الطَّلِيُّ لأنهُ يُطْلَى، أي تُشَدّ رجله بخيط إلى وتد أياماً ، وذلك الخيط هو الطِّلاء .

وطليته أطليه ، وحكى الفراء : طَلَوته .

وقالوا : طما يطمو طُمُوّاً ، وطَمِيَ يطمَى طُمِيّاً إذا ارتفَع .

وقالوا : طَهَوت اللحم وطَهَيتُه .

وعَلَوْت وعَلَيت .

وضاره يضيره . وحكى الكسائي عن بعض أهل العالية : لا ينفعني هذا ولا يضورني . وقروتُ الأرض ، إذا تتبعتَها تخرج من أرض إلى أرض ، وقَرَيتُ الماء في الحوض أقريه قَرْياً : جمعتُه .

وقالوا : قلوتُ البُسْرَ واللحمَ والبُرّ ، وقلَيتُها ، فهي مَقلوّة ومَقليّة .

وقليت الرجل أقليه من البُغض قِلىً لا غير .

وقنَوت الغنم وقنيتها إذا اتخذتها قُنية ، وقِنوان وقِنيان .

وما أعيج من كلامه بشيء ، أي ما أعبأ به ، وما أعوج بكلامه أي ما التفتُ إليه .

وقالوا : تاهَ يتيه كما قالوا : تاه يتوه ، وهو من النوادر .

وقالوا : غِرت الرجلَ أغيرُه ، وقوم قالوا : غُرتُه أغوره بمعنى نفعتُه ، حكاه أبو عبيدة .

ويقال : غارني فلان يغيرُني ويغورني ، إذا أعطاك الدية .

ولَحَوتُ العصَا ولحَيتُها إذا قشَرتَها .

ولحَيتَ الرجل ألحاه بمعنى لمته .

ولحيتُه ولَخَوتُه وألخَيتُه إذا اسعطْتَه . والمِلخَى المُسْعُط (وهو الإناء يُجعل فيه السَعوط ويصب في الأنف) .

ولَهَوتُ بالشيء ألهو لَهْواً ، ولَهَيتُ عنه ألهَى بمعنى سلوتُ وتركتُ ذكره ، ورجل لَهُوٌّ عن الخير .

ولغَوْتُ ألغُو ، ولغَيتُ ألغَى ، ولغِي بالشيء يلغَى إذا أولِعَ به .

ومنَوْتُ الرجلَ ومَنَيْته : ابتليتُه .

وماثَ الشيء يموثُه مَوَثاناً ومَوْثاً ، ويَميثه بمعنى أذابَه .

وغلوتُ أغلو غُلُوّاً ، وغَلَيت من الغضب غلياناً .

ولا بد أن نلحق بهذا ما ورد بالواو والياء من الأسماء ومن ذلك :

صِوار من بَقَرٍ وصِيار .

وأهل الحجاز يقولون للصوّاغ الصيّاغ . أقول : وما زال الصياغ أكثر من الصوّاغ .

وقالوا : صُوَّم وصُيَّم .

وهو أحوَل منه وأحيَل .

أقول : وقولهم « أحيَل » أُخذ من المصدر « الحِيلة » فكأنهم توهموا أن الياء أصيلة وليست عارضة من الواو ، وباب التوهم كثير في اللغة [١] .

وقوم نُوَّم ونُيَّم .

وقد نستدل على أن ما جاء بالواو وما جاء بالياء هو شيء يتصل باللغات أي ما يدعى في عصرنا بـ « اللهجات » ، بما عندنا الآن من اللغات الإقليمية الخاصة ذلك اننا نجد من يقول في عاميته الدارجة « يزيد » وآخرين يقولون : « يزود » . و « تاه يتيه » و « تاه يتوه » . ومن المعلوم أن القائلين بالياء

---

(١) عرض التوهم لكثير من الكلم في العربية ، ومن ذلك جمع « مسيل » وهو من السيل على «مسلان» وامسلة بعد توهم ان الميم في «مسيل» أصل فعوملت معاملة « رغيف » التي جمعها رغفان وارغفة ، ومثل هذا « مكان » التي جمعت « أمكنة » . والامثلة أكثر من أن تحصر .

غير القائلين بالواو ، وقد يكون القول الأول خاصاً ببلد أو إقليم ، والقول الثاني خاصاً بإقليم آخر .

بناء فعيلة :

غير قليل من هذا البناء يأتي في باب الأطعمة والمآدب التي يصنعها الرجل ويدعو إليها الناس . والواحد « مأدبة » بضم الدال وفتحها ، يقال أدب يأدِب أدْباً .

وقالوا في « المأدبة » أيضاً : إنها طعام النُفَساء والختان والقادم من سفر .

وفي بناء فعيلة من هذا :

الحتيرة أو الحُترة : وهي الطعام يُتّخذ عند بناء الدار ، يقال : حَتَرْ لنا .

الخزيرة : ان يُطبَخ لحم صغار في ماء كثير ، فإذا نضج ذُرَّ عليه دقيق.
الخضيمة : طعام يُنَقّى ويجعل في قدر ويصب عليه الماء ويُطبَخ حتى ينضج .

تعليق :

أقول : إن دلالة « الطعام » في العربية عامة يدخل فيها كل ما يؤكل ، ولكنها قد تنصرف أحياناً إلى شيء خاص هو الحَب كالبُرّ والشعير ونحوهما ، وفي قولهم : الخضيمة طعام يُنَقّى . . . ما يدُلّ على هذا .

ودلالة « الطعام » على هذا ما زالت معروفة لدى أهل القرى في جنوبي العراق.

السخينة : التي ارتفعت عن الحَساء وثقلت عن أن تُحسَى ، وهي دون العصيدة . وإنما تتخذ السخينة والحريقة والنفيتة عند غلاء السعر وعَجَف المال .

تعليق :

وقولهم : « عَجَف » المال أي ضعف وهزال الدواب ، فالمال في كتب اللغة كثيراً ما ينصرف إلى الدواب كالإبل والغنم والماعز وغيرها .

واللهيدة : « العصيدة » الرخوة ليست بحَساء يُحسَى ، ولا بغليظة فتُلقَم وهي « الحريرة » ، وهي مجاوزة حدّ الحريقة والسخينة .

واللفيتة : العصيدة المغلّظة .

والنهيدة : أن يُغلَى لباب حبّ الحنظل ، فإذا نَضِجَ وكَثُف ذُرَّت عليه « قَميحة » من دقيق وأُكل . ويروى « قَميحة » وقُمَيحة وقَمْحة .

والنحيرة : لبن حليب يجعل عليه سَمْن . وقال الطائي : هو ماء وطحين يطبخ .

والنخيسة : لبن العنز والنعجة يُخلَطان .

والنخيجة : زبدة رقيقة تخرج من السقاء توضع على البعير بعدما مُخِضَ وخرَجَ زبدُه الأول .

والنفيتة: أن يُذَرّ الدقيق على ماءٍ أو لبن حليب حتى يُنفَت ويُتَحسّى من نفتها ، وهي أغلظ من السخينة ، يتوسّع بها ذو العيال إذا غلبه الدهر .

والوجيئة : تمر يُدَقّ حتى يخرج نواه ثم يُبَلّ .

والوغيرة : لبن محض يُسَخّن حتى ينضج ، وربما جُعِلَ فيه سَمْن فيقال : أوغرت .

والوكيرة : طعام يُتّخَذ عند بناء البيت ، قال :

كلُّ الطعام تشتهي عميرَهْ   الخُرسُ والأعذار والوكيره

والخُرس : طعام النُّفَساء ، والإعذار الطعام عند ختان ولد .

وروي الرجز أيضاً :

كلّ الطعام تشتهي ربيعَهْ   الخُرس والإعذار والنقيعه

و « النقيعة » طعام .

والوليمة : طعام يُتّخذ عند بناء الرجل بأهله يُدعى إليه الناس .

أقول : وقد عرض العموم للوليمة فصارت المأدبة على وجه عام وليس من تخصيص .

وقد يرد على وزن « فُعْلة » ما يفيد ضرباً من الطعام نحو : اللُّهْنة واللُّمْجة للطعام الذي يُتَلَهّى به قبل موعد الأكل .

ولا أدعي أني أتيت على جميع ما في هذا الباب ، ولكني أردت بهذا الموجز أن أبسط الأطعمة وما يتصل بها من خصوصيات لأدلّ على

سعة العربيـــة في عصورها القديمة بين بداوتها وحضارتها . وفي هذا بيان عن حاجة العربية المعاصرة إلى شيء من تلك السعة .

استدراك :

الوهية : أن يطبخ الجراد ، ويجفف ويدق فيُقْتَمَح أو يُبكَل بدَسَم .

والرغيدة : طعام من اللبن الحليب يُغلى ويُذرّ عليه الدقيق .

والرهيدة : هي حنطة تدق ويُصَبّ عليها اللبن .

والبكيلة : أقِط يُلَت بسَمْنٍ ، وقيل : أقط مطحون تبكله بالماء كأنك تريد أن تعجنه . والبكالة الدقيق بالرُبّ أو بالسمن أو بالتمر أو بالسويق ، وهو الناعم من دقيق الحنطة يُبَل بَلاّ أو سويق بتمر ولبن أو دقيق يخلط بسويق ويُبَلّ بماء وسَمْن أو زيت أو الأقط الجاف يخلط به الرطب . أو طحين وتمر يخلطان بزيت .

والربيكة شيء من حَساء وأقِط ، والحَساء دقيق يطبخ بالماء والسمن .

والوضيمة : طعام من السويق والعَسَل .

والحريقة والحَروقة : طعام أغلظ من الحَساء .

والسهيكة : طعام رديء يستعملونه في المجاعة .

والوديكة : طعام من الدقيق والشحم .

والوزيمة : طعام من لحم الضباب .

والحريرة : دقيق يطبخ باللبن .

والخزيرة : ويقال الخُزْرُقة : طعام يطبخ باللحم والدقيق .

والمضيرة : طعام يطبخ باللبن الحامض .

والعبيثة : طعام يجعل فيه الجراد .

والثميغة : ما رقّ من الطعام واختلط بالودك .

والثُّوَيناء : دقيق يفرَش تحت الفرزدق (وهو قطعة من العجين تبسط فيخبز منها الرغيف ، أو الرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت) .

والحَبيز : الخبز الفطير واليابس .

والجوذابة : مَلّة تخبز في التنّور معلقاً فوقها طائر أو لحم فيقطر ودكه عليها .

والبريقة : لبن يصب عليه إهالة أو سمن قليل . (والإهالة ما أذيب من الشحم ونحوه) .

والبريك : الرُّطَب يؤكل بالزبد .

والبَروك : الحيص تعمله العرب من التمر والسمن .

والبسيسة : سويق أو دقيق أو أقط مطحون يُلَتّ بالسمن والزيت .

والحيجبة : كرش البعير المحشو .

والجشيش : السويق أو حنطة تطحن قليلاً . وتجعل في قدر ويُلقى عليها لحم أو تمر .

والخبيص : نوع من الحلوى من التمر والسمن .

والجعجرة : ما يتخذ من العجين كالتماثيل فيجعلونه في الربّ إذا طبخوه .

والجليحة : طعام يصطنع من الحليب والسمن يخلطان معاً .

والحَيْس : تمر يخلَط بسمن أو أقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج، ثم يندَر منه نواه ، وربما جُعِل فيه سويق .

والدُواية : جُلَيدة تعلو الهريسة واللبن ونحوه إذا ضربته الريح .

والهريسة : الحَبّ المدقوق بالمهراس فيطبخ .

والزّرَيقاء : الثريدة بلبن وزيت .

والنابجة : طعام جاهلي يخاض البُرّ باللبن فيُجدَح أي يُلَت ويخلط .

والرصيعة : البُرّ يدق بالفِهر (حجر قدر ما يُدَق به الجوز أو يملأ الكف ويستعمل عند الأطباء للحجر الرقيق الذي تسحق به الأدوية على الصلابة) ويُبَلّ ويطبخ بالسمن .

والفيحاء : طعام من الحَساء والتوابل .

والمِجع : اللبن يُنقَع فيه التمر .

والنجيرة : حَساء من دقيق يجعل عليه سَمْن .

والوليقة : طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن .

والسخينة : طعام أرق من العصيدة وبها كانت تعيَّر قريش لأنها كانت

مولعة بأكلها كما كانت تميم تُعَيَّر بشدة الحرص على الأكل ، قيل إنهم كانوا يلفّون الوطب وهو سقاء اللبن في البجاد ، وهي ثياب العرب .

يحكى أن معاوية بن أبي سفيان كان يمزح مع الأحنف بن قيس وكان تميمياً فقال له : ما الشيء الملفف في البجاد يريد قول الشاعر :

إذا ما مات ميْت من تميم وسَرَّك أن يعيش فجيء بزادِ
بلحم أو بخبز أو بتمـــــر أو الشيء الملفف في البجاد

فأجابه الأحنف هو السخينة يا أمير المؤمنين فأفحمه ، وكان معاوية يقصد ما يعاب به بنو تميم فأجابه الأحنف بما يعاب به القرشيون .

وكانوا يُسَمّون المَرَقة المُسَخَّنة بنت نارين ، والخبز ابن حبّة ، قال الشاعر :

في حَبّـــة القلب منّـــي زرعت -سُبَّ ابن حَبّهْ

ومما يدخل اطعمتهم :

ما ورد في المقامة الصنعانية للحريري : . . . فوجدته محاذياً لتلميذ على خبز سميذ وجَدْيٍ حنيذ ، أي مشوي .

وشر الأطعمة من اللحم القديد ، ولذلك قالوا في أمثالهم لمن يظهر السخاء ولا يرى منه إلاّ قليل خير : شريف قومٍ يُطعِم القديد .

وكانوا إذا لم يجدوا علَفاً لخيولهم دقّوا اللحم اليابس وأطعموها ، قال النمر بن تولب يخاطب الرسول :

إنّا أتيناك وقد طال السفرْ أقود خيـــلاً رجعاً فيها ضررْ
أطعمها اللحم إذا عزَّ الشجَرْ

وكانوا يرون أن أطيب اللحم الكتف ويتباهون بمعرفة أكلها، ويضربون بذلك المثل فيقولون للداهي الذي يأتي الأمور من مأتاها : إنه ليعلم من أين تؤكَل الكتف ، لأنهم يزعمون أن أكلها أعسر من غيرها ، ويرون أنه يجب أن يكون أكلها من أسفلها لأنه يسهل انحدار لحمها ، أو من أعلاها فيكون متعقداً ملتوياً . . . ويقولون للضعيف الرأي : انه لا يحسن أكل الكتف ، وأنشد الأصمعي :

إني على ما ترينَ من كبري   أعلم من حيث تؤكل الكتف

وكانت قبيلة بَلي من قضاعة لا يأكل أهلها الألية لأنها من الجواعر ، ولأنها طبق الاست .

وقالوا في المثل : لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع ، ويستبين من ذلك أنهم لا يشركون عبيدهم في أطايب اللحوم .

وإنضاج الطعام عند العرب يشتمل على طبخ اللحم وشيّه ، وهو على أنواع منها : الصفيف ، وهو المصفوف على الحجارة ، لينضج ، والقدير للمطبوخ في القدور والمراجل الموضوع على الأثافي (جمع أُثفية) من الحجر . أما إذا كان من حديد فهي منصب .

وكانوا إذا أعوزهم قدر يطبخون فيها عملوا شيئاً كهيئة القدر من الجلد وجعلوا فيها الماء واللبن وما أرادوا من ودك، ثم ألقوا فيها الرضَف لتنضج ما في ذلك الوعاء ، وهي الحجارة المحماة بالنار .

وأما الأطعمة من اللحم واللبن والخبز فيسمونها الثرائد ، ويقولون : إن أول من هشم الثريد هاشم جد النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وجاء في المقامة النصيبية للحريري :

أبو مالك وأبو عمرة كنيتان للجوع ، وأبو جامع كنية الخوان ، وأبو نعيم كنية الخبز الحُواري . وأبو حبيب للجدي ، وأبو ثقيف للخل ، وأبو عون للملح ، وأبو جميل للبقل .

وأم القِرى للسكباج ، وأم جابر للهريسة ، وأم الفَرَج للجوذابة ، وأبو رزين للحنيص ،وأبو العلاء للفالوذج وأبو إياس للغَسول ،والمرجفان للطست والإبريق ، وأبو السرور للبخور .

وفي « المرصع » للمبارك بن الأثير شيء كثير من هذا يدخل في كنى الأطعمة والأشربة .

وقيل ان التأنق في الأطعمة واختراع الألوان جدّ في عهد معاوية بن أبي سفيان .

وكان معاوية أكولاً شروباً حتى قال الشاعر :

وصاحبٍ لي بطنه كالهاويه كأنّ في أمعائه معاويه

وقد نسبوا بعض الألوان من المأكول إلى الخلفاء والوزراء وغيرهم من علية القوم فقالوا :

الرشيدية من الحلو منسوبة إلى هارون الرشيد .
والمأمونية منسوبة لابنه المأمون وكذلك المتوكلية المنسوبة للمتوكل بن المعتصم الخليفة .

والمهلبية معروفة وهي منسوبة إلى الوزير المهلبي .

والقدور الإبراهيمية منسوبة إلى إبراهيم بن العباس الصولي .

وقالوا في «أصابع زينب» من مآكلهم من صنع أهل بغداد .

وقد ألفوا في الأطعمة والطبيخ كتباً ، ومنهم أبو الحسن علي بن يحيى المنجم نديم المتوكل ومن خواصه ومن خواص الوزير الفتح بن خاقان ، وقد كان من أهل الأدب ألف كتاباً في الشعراء الإسلاميين ، وكان من أهل المعرفة بالغناء . وله كتاب في الطبيخ ، توفي بسرّ من رأى سنة ٢٧٥ هـ .

ومن الأمثال قولهم : تخرَّسي يا نفس لا مخرِّسةً لك ، قالته امرأة ولدت ولم يكن لها من يهتم بأمرها يضرب في قيام المرء بحاجة نفسه إذا لم يكن له من يقوم بها .

وجاء في كتب «الأوائل» : إن أول من سنّ القرى إبراهيم الخليل ، وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الإسلام هو عبد الله بن عباس الذي كان أول من وضع موائده على الطريق أيضاً .

والأكلة الواحدة هي البَزْمة ، وهي وزن ثلاثين درهماً ، والقليل من الطعام البسيس ، وما بقي على المائدة الحثار ، وما بقي عليها مما لا خير فيه الحُشار ، وما فضل من الطعام والإدام في الإناء أو خاص بالقَصعة «الثُرْتُم» ، قال الشاعر :

لا تحسبَنَّ طعام قيسٍ بالقنا وضرابَهم بالبيض حشوَ الثُرتُمِ

والسُلْفة واللُّهْنة طعام المتعلل قبل الغداء ، والعُجالة طعام المستعجل قبل أوان الغَداء ، والزاد طعام المسافر ، والجائزة ما يعطى للضيف بعد إكرامه ثلاثة أيام فيجوز به مسافة يومٍ وليلة .

ومنه الحديث : الضيافة ثلاثة ، وجائزته يوم وليلة .

وأواني الأطعمة هي الدسيعة والجفنة والقصعة والصحفة والمبكلة والفيخة ، وهذه الأخيرة تكفي رجلاً واحداً ، وأعظمها الدسيعة وهي تكفي عشرة .

وأما أواني الشرب فمنها التبن وهو أعظم الأقداح ويروي العشرين ، ثم الصحن وهو يقاربه ، ثم العُسّ ويروي الثلاثة أو الأربعة ، ثم القَدَح ويروي الرجلين ، ثم القعب ويروي الرجل الواحد ، ثم الغَمَر .

ومن صفة الآكلين :

الزرّام لمن يأكل كل يوم صنفاً من الطعام ، والناعط من يسيء الأكل ، والسَّنِق الذي يأكل فيشبع فيبشم ، ومن يضع شماله على شيء يكون على الخوان كي لا يتناوله غيره هو جُرْدُبان (معرَّب كرده بان) أي حافظ الرغيف ، ومنه جَردَب في الطعام وجَرْدَم ، وأنشد الفراء :

إذا ما كنت في قوم شهاوَى   فلا تجعل شِمالكَ جَردبانا

والجيء : الدعاء على الطعام والشراب ، قال الشاعر :

وما كان على الجيء ولا الهيء امتداحيكا

قال أبو عمرو : الهيء الطعام ، والجيء الشراب .

وللمولدين في صفة الآكلين وعيوبهم مولدات كثيرة ذكر طائفة منها الحسين الجزار في كتابه « فوائد الموائد » .

ومن عاداتهم في الجاهلية إذا نزل بهم ضيف ضمّوا إليه رحله وبقي سلاحه معه خوفاً من الغارة ، ولذلك قال مُرّة بن محكان يخاطب امرأته :

يا ربة الدار قومي غير صاغرةٍ ضمّي إليك رحال القوم والقُرُبا

وأراد بـ « القُرُب » سلاحهم لأنهم عنده في أمان من الغارات فلا يحتاجون إلى السلاح .

والتحية وبسط الوجه والحديث من تمام القرى ، قال عاصم بن وائلة :

وانا لنقري الضيف قبل نزوله ونشبعه بالبشر من وجه ضاحكِ

وفي المثل : ملحه على ركبته ، يضرب للذي يغضب من كل شيء سريعاً ، ويكون سيء الخلق يبدّده أيّ شيء وينفّره ، كما الملح يبدده أدنى شيء إذا كان على الركبة ويفرّقه ، قال مسكين الدارمي :

لا تلمها إنها من نسوةٍ ملحها موضوعة فوق الرُكَبْ

ومن أشربتهم : اللبن ومن صفاته :

الصريف أي اللبن ساعة يحلب .

والجَباب من لبن الإبل ، ولما كان اللبن مما يعوّل عليه في غذائهم عبّروا عنه بـ « أحد اللحمين » ، قالوا : أطعمها اللحم أي اسقيها اللبن وجعلوا له أسماء ومنها :

القَيْل : وهو اللبن يُشرب في القائلة أي نصف النهار .

والفيقة : اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين ، ومنه ما جاء في المثل :

مَهلاً فواق ناقة ، أي أمهلني قدر ما يجمع من اللبن في ضرع الناقة بين الحلبتين .

والمظلوم والظليم : اللبن الذي يُحقن ، يعني الذي يجمع في السقاء ، ويصب حليبه على رائبه ثم يشرب قبل أن يروب .

والضَّيْح والضَّياح : اللبن الخاثر رُقّق بالماء ، وهو أسرع اللبن رِيّاً .

والإحلابة ، وهو أن يحلب الرجل ويبعث به إلى أهله من المرعى .

والنساء عندهم لا يحلبن لأنه عار عندهن .

والحبيط : لبن رائب ومخيض يصب عليه حليب .

والدخيس : لبن الضأن يحلب عليه لبن المعز .

والنّفَش : القليل من اللبن ، والمذِقة : اللبن يخلط بالماء ويُسمّى السّمار أيضاً .

والرثيّة : اللبن الحامض يخلط بحلو .

والصِّرام : آخر اللبن بعد التغريز ، يعني أن تدع حلبةً بين حلبتين إذا احتاج إليه صاحبه حلبة ضرورة .

والشخب : هو ما امتدّ من اللبن إذا خرج من الضرع .

والارتجان : اختلاط الزبدة باللبن .

والوالج : اللبن يُرَدّ في الضرع بأن يُرَشّ الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة .

والغُبْر : بقية اللبن .

والرمث : بقية قليلة من اللبن تبقى في الضرع .

والثجيجة : زبدة اللبن تلصق في اليد والسقاء .

والقارص : اللبن يحذي اللسان ، والحاذر اللبن الحامض .

وسُواية الرضف : اللبن يُغلى بالرضفة منه شيء يسير قد انشوى على الرضفة .

نوادر وأفعال

الذي أريده من « النوادر » التي أبسطها في هذا الموجز ، كلام قديم واستعمالات عتيقة ، ولعل كلمة « العتيقة » أولى بالوصف والصدق من كلمة القديمة ، ذلك أن هذا الإرث القديم ركاز نفيس أحجاره ودمنه كالجواهر بسبب من أصالتها وصدقها في الاعراب عن تاريخ لغة واسعة وافية بأغراض البداوة ، ثم إنها زحزحت رويداً رويداً فواجهت الحضارة فكان لهذه المواجهة ما يدعمها من التراث البدوي . وهي إذ درجت في مسيرتها لتواجه الجديد الحضاري لم تفقد أصالتها ولم تتنكر لأصولتها ،ومن هنا كانت الأصالة ، وكان الصدق ، وكانت العبقرية .

ولقد كنت قد وقفت ، وأنا أدرس هذه العربية القديمة وأتجول بين أبنيتها « العتيقة » ، على فوائد تفصح عن نفاسة هذه اللغة . وإذا كنت قد قصدت إثبات النفاسة فذلك لأني أسعى إلى إبعاد أفكار غير سليمة تحمّلها الدارسون ، وهم يدرسون هذه اللغة ويعرضون لأدبها القديم كما يعرضون للفكر العربي عامة ، لقد أشاع هؤلاء ان القديم من الفكر العربي في عصور ما قبل الإسلام ، إن هو إلاّ بداوة وقد وصفوها فقالوا « بدائية » ، وقد شاعت هذه « البدائية » واحتملت دلالة سلبية ، فهي رجعة وتخلّف وبعد عن عقلانية في جميع مظاهرها .

وعجيب أن يكون هؤلاء الدارسون من أهل العلم وأنهم سلكوا هذا السبيل في ثلب القديم الذي سبق الإسلام وتضعيفه ونبزه ليصلوا إلى قصدهم وهو إكبار الدعوة ، وإن الإسلام الذي جاءت نبوّة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – إنقاذ للبشر من وثنية جاهلة تتخبط بها أمة عربية .

أقول : إن هذه المقولة حق ، وإن الإسلام هداية لهذه الأمة الضالة ، ولكن أصحابنا هؤلاء في مقولتهم هذه كأنهم قصروا مهمة هذه الشريعة السمحة على العرب الضالّين ونسوا أن يكون الإسلام قد جاء لخير البشر عامة ، وبسبب من هذا النظر سعوا إلى نبز عصور ما قبل الإسلام ودعوها « جاهلية » مستفيدين هذا المصطلح من قوله تعالى :

« يظنّون بالله ظن الجاهلية » . ١٥٤ سورة آل عمران .

« أفحكم الجاهلية يبغون » . ٥٠ سورة المائدة .

ولا أنكر أن تكون أحوال العرب في عباداتهم وسلوكهم « جاهلية » أقيمت على جهل وفساد عقل ، ولكني أقول : كان لأولئك الجاهليين من أسباب الخير ما نعرفه ومما أيّد شيئاً منه الدين الحنيف . ثم ان الإسلام لم يأت لإنقاذ هؤلاء وحدهم بل جاء للبشر كافة. وكان على هؤلاء الدارسين أن يقفوا على كثير من مظاهر الخير والصلاح في رسالته السمحة الحضارية العالمية .

ثم إن أصحابنا هؤلاء يناقضون أنفسهم فبينا هم يكبرون الشريعة السمحة وأنها رسالة الله التي اصطفى لها الرسول الكريم لإنقاذ الأمة من « جاهليتها » إذا هم ينصرفون من ناحية أخرى مشيدين بمآثر العرب في

عصور ما قبل الإسلام وذلك إن لم يكن الدرس متعلقاً بالدعوة الإسلامية ، ومقصوراً على تاريخ هذه الأمة قبل الإسلام . أليس في هذا تناقض ؟

ولو أن أصحابنا عمدوا إلى العلم الذي يوصف بالموضوعية لكان درسهم لعصور ما قبل الإسلام يفرض عليهم أن يعرضوا للمحاسن والمساوىء ولكان درسهم للإسلام منصرفاً إلى منزلة هذه الشريعة السمحة ، والرسالة الحضارية التي بلّغ بها الرسول الكريم مستهدفة العرب وغيرهم من الأمم .

ولا أدري لِمَ يصار إلى نبز العرب في عصور ما قبل الإسلام ليقال إن الإسلام برسالته العامة وحضارته جاء منقذاً لهذه الأمة ، وليس الأمر بهذا التحديد الذي لا يخدم الإسلام . وأنت واجد في الشريعة الإسلامية عقيدة وعبادةً وسلوكاً وأحكاماً صفحات مشرقة وليس لنا أن نتبين إشراقها ببسط الظلام على الحقبة التي سبقتها مهما كان في تلك الحقبة من مثالب ومساوىء .

ولنعد إلى أفانين العربية القديمة لنقف عليها ونبين منها أن أهل هذه اللغة المعطاء قد أدركوا من السداد في « جاهليتهم » ما تفصح عنه تلك الأفانين الجميلة . وإذا كان لنا أن نضع العرب في مكانهم بين الأمم كان علينا أن ننزلهم بحيث تفرض علينا هذه اللغة العبقرية أن نضعهم في علّيين .

وهذه « الأوابد والنوادر » أفعال وأسماء وسأبدأ بالأفعال وهي :

التصدّق ويفيد إعطاء السائل ، قال تعالى : « وتصدّقْ علينا » .

وأما استعمالها للسائل نفسه أي أنه يسأل الناس صدقة فمولّد يقال السائل يتصدّق ، بمعنى يسأل . تَقَى يَتْقِي : بمعنى اتّقَى ، قال خفاف ابن ندبة :

جلاها الصيقلون فأخلصوها خِفافاً كلّها يَتقي بأثْرِ

وقال عبد الله بن همّام السّلولي يخاطب النعمان بن بشير :

زيــادتنا نُعمــان لا تنسَيَنّها تَقِ اللهَ فينا والكتابَ الذي تتلو

أقول : وليس الفعل في البيتين قد أُتيَ بهما من أجل الضرورة الشعرية ، ولكن هذا الفعل قد صير إليه بالحذف التماساً للخفة مع توهم ان التاء من أصل الفعل ، وليس الأمر كذلك . وهذا الضرب من التوهم قد وجدناه في الفعل « تَخِذَ » على « فَعِل » والأصل « اتّخَذَ » وهو المزيد بالهمزة والتاء على « أخَذ » ، فحذفت الهمزة وحذفت التاء الأولى التي أصلها همزة وهو « إأْتَخَذَ » فبقي من الفعل التاء الثانية وهي تاء الزيادة في « افتعل » والخاء والذال وهو « تَخَذ » وقد غُيِّرت فتحة الخاء إلى كسرة لإبعاده عن أصله ليصبح كأنه ثلاثي لا علاقة له بـ « أخَذَ » .

وقالوا : **أرِضَت** القَرْحة تأرَضُ أرَضاً إذا مَجِلَت .

أقول : والأرَض ، بفتحتين ، وهو كسائر المصادر الدالة عــلى الأعراض كالمَرَض والعَمَى والحَزَن والصَّلَع والقَرَع والقَرَن وغيرها كثير . ودلالة الأرَض هو المَجَل . والمَجَل من قولهم مَجِلَت يدُه أي خَشنت وتقشّرت ، وعلى هذا يكون « المَجَل » أحــد الأدواء والأعراض . ومن المفيد أن أشير إلى أنّ « المَجَل » هو المعروف في عاميّة أهل جنوبي العراق بـ « البَشَل » بعدما عرض له من الإبدال في الميم والجيم .

وقولهم : **دَلَع** لسانُه ، **ودَلَعَ** فلانٌ لسانَه : أخرجه ، حكاهما الفرّاء .

أقول : والقول الأول يُعبَّر عنه في العربية المعاصرة بقولهم اندلَعَ لسانُه . وأما القول الثاني فهو معروف في عصرنا .

ودِئتَ تَداء داءً ، ورجل داءٌ ودَوٍ ودوىً للفاسد الجوف ، ودَوِيَ يَدْوَى من الداء .

أقول : ولموضع الواو والياء في هذا الفعل وغيره ، ووجود الهمزة كان فيه شيء من عسر ، ولذلك هجره المعربون واستبدلوا به « مَرِضَ » ولم يبقَ من هذه المادة إلاّ الاسم « داء » وجمعه أدواء . غير أن « المَرَض » لا يؤدي ما يؤديه الداء ، فقولهم : رجل داءٌ ودَوٍ للفاسد الجوف ، وليس في « المرض » هذه الخصوصية .

وذالَ يَذيل : تبختر ، وأذَال إزاره : أرخاه .

وقات أهله يقوتُهم قَوْتاً ، وأقات على الشيء : اقتدر عليه ، قال ثعلبة بن محيّصة الأنصاري :

وذي ضِغْنٍ كفَفتُ النفسَ عنه وكنتَ على مساءته مُقيتا

والمُقيت : الحافظ للشيء الشاهد عليه ، وقال تعالى : وكان الله على كل شيء مُقيتاً .

تعليق :

فأنت ترى أن الفعل « أقات » يؤدي من المعاني ما لا يؤديه « اقتدر » والآية الكريمة شاهد حَسَن .

وتَسَنَّتَ فلان فلانةً إذا تزوّجها وهو لئيم وهي كريمة لكثرة ماله ، وقلة مالها في السنة .

أقول : و « السنة » تعني الفقر والفاقة والمجاعة ، والمعنى للفعل أن « فلانة » هذه قد آذتها السنة لكرمها .

وأسوطه سَوْطاً أي ضربة بسوط .

والفعل هنا ليس أصلاً وإنما أخذ من الاسم « سوط » ، وقد حفلت العربية بهذه الأفعال الحادثة التي تؤخذ من أسماء الأدوات ، ومن أسماء الأعيان وغيرها ، فقد قالوا : رَمَحه أي أصابه وضربه برمح ، ونبَله أي أصابه بنَبْل .

وهذا بعض ما استعانت العربية به على توليد المعاني .

وحَشي يحشى حَشىً ، ورجل حَشٍ إذا أصابه الرَّبْو .

أقول : و « الحَشى » من المواد الدالّة على الأعراض والأدواء كما بينّا . ووجه الدلالة أن « الرَّبو » يدل على الزيادة ، وكذلك « الحشى » الذي يفيد الامتلاء . ومن أجل هذا ولد المعاصرون مادة « احتشاء » لتفيد حالة من حالات أمراض القلب .

وقالوا : حَضِرَ القاضي يحضُرُ ، وهو غريب وسنقف على وجه الغرابة ، وحَضَرَ القاضي يحضُر ، وهو كثير .

أقول : ووجه الغرابة عدم السماع أن يأتي من الفعل ما هو مكسور العين في الماضي مضمومها في المضارع .

فإذا كان هذا في هذا الفعل وغيره ، وهو قليل فكيف يقال فيه :

لعل خير ما يقال في هذا: ان هذا الفعل ونظيره فضِلَ يفضُل وزن قديم لعله كان شائعاً في العربية قبل أن تتجه هذه اللغة إلى القيـاسية والضبط والتصنيف فثبت الشائع الكثير ، وهجر القليل ، ولكن هذا الهجران للقليل لم يأتِ على كل شيء ، فقد تبقى بقية ، وهذا الأمر يعرض لجميع الأمور التي تزول لسبب ما ، فلا يعني أنها زالت دون أن يكون لها مخلفـات و « رواسب » كما يقال في عصرنا .

وخلف الله عليك أي خليفة عليك في مصابك .

وأخلف الله عليك ان ذهب منك مال أو نحوه .

أقول : وهذا يدخل في باب أن زيادة الهمزة من وسائل تكثير الدلالة أو تخصيصها .

وحَجَمتُ الجملَ أحجُمه فهو محجوم : جعلت على فيه حِجاماً لئلاّ يعض .

أقول : والحِجام حبل أو نحو ذلك مما يجعل على فم الجمل . ومن هنا احتمل هذا الفعل معنى المنع . وقد جدّ استعمال هذا الفعل في العربية المعاصرة بمعنى المنع وذلك في صيغة المضاعف فيقال وحجّم عليه أن يفعل شيئاً .

وعَطَنت الإهابَ أعطِنه ، إذا لففتُه ودفنتُه ليسترخي صوفه أو شعره ، وقد انعطَن الإهابَ .

وثلثتُ القوم أثلِثُهم ، إذا كمّلتَهم ثلاثةً بنفسِك ، بكسر العين في المستقبل ، وكذلك إلى العشرة .

إلاّ قولهم : أربعُهُم واسبَعُهم وأتسَعُهم فإنهنّ بفتح العين في المستقبل.

أقول : وهذا الاستثناء يوجبه أنّ صوت العين وهو لام الفعل في هذه الأفعال يقتضي أن يكون ما قبله مفتوحاً .

وهذا نظير ما يقال في الأفعال التي على وزن « فعَلَ يفعَلُ » بفتح العين في الماضي والمستقبل ، إذ أغلب هذه الأفعال تكون عينها أو لامُها صوتاً حلقياً نحو برَأ يبرَأُ ، وقرَأ يقرَأُ ، وسأل يسأل ، وشهَرَ يشهَرُ وفرَهَ يفرَهُ . ومثل هذا نجد في اللغةِ العبرانية .

وقالوا : شَرَرْتُ الأقِطَ والمِلْح أشرُّهما ، إذا بسطتهما على خَصَفة .

أقول : والفعل « شرّ » لم تسلم له صفة الفصاحة فقد تحول إلى الألسن الدارجة فيقال : شرَّ الثوب ، أي نشره ليجفّ من البلل أو بعد غسله .

وليس في الفصيحة المعاصرة شيء من هذا . وكأن « الشرّ » هذا بمعنى النشر ، وقد يومىء هذا إلى العلاقة بين المضاعف المجرد ، والثلاثي المجرد غير المضاعف .

ويقال : آزيتُه ولا يقال : وازيتُه .

أقول : ومن العجيب أن المهموز قد عفا أثره في العربية المعاصرة ، وقد صير إلى الواو وقلما يقال : « التأريخ ». وتسهيل الهمزة هو الشائع (التاريخ) . وهذا التسهيل في الهمزة من صفات الألسن الدارجة فلا تجد

فيها بثراً ورثماً وشؤماً ورأساً ، وكل ذلك بالتسهيل بالأصوات الممدودة اللينة ياءً وواواً وألفاً .

وقالوا : جَلَّ البَعْرَ وغيره يجُلُّه إذا لقَطَه ، «الجَلَّةُ البَعْرُ ، واجتَلَّ الجَلَّة ، لقَطَها .

أقول : والجَلّة من المعروف للبعر وغيره من نجو البهائم الجاف الذي يستعمل وَقوداً . وكان عامة الناس في جنوبي العراق قبل عشرين سنة أو ثلاثين يتخذون هذه المواد وَقوداً .

وقالوا : غَثِثْتَ باللحم تَغَثُّ ، وأغثثتُ في المنطق لا غير .

أقول : وهذا مما يستفاد من الفرق بين المجرد والمزيد .

وقالوا : غَرَضنا السَّخْل نغرِضُه غَرْضاً إذا فطمناه قبل إناه .

والغَرَض : الضجر ، ومنه غَرِضْتُ بالمقام .

ويقال : غَرِضتُ إلى لقائك ، قال ابن هرمة :

من ذا رسول ناصحٌ فمبلِّغٌ عنّي عُلَيّة غير قِيل الكاذب
إني غرِضتُ إلى تناصُف وجهها غَرَضَ المحبّ إلى الحبيب الغائب

وغرَضَت المرأة سِقاءها ، إذا مخَضَته حتى تمّر أي صار ثميرة قبل أن يجتمع زُبده ، ثم صبَّته فسقَت القومَ .

أقول : والفرق بعيد بين غَرَضَ (فَعَلَ) وغَرِض (فَعِلَ) . فالأول متعد والثاني لازم ، والأول ينصرف إلى المحسوسات ، والثاني ينصرف إلى المدركات بالعقل أو المجرّدات .

وقالوا : **جلّد** الجزور : أخذ عنها جلدها ، ولا يقال : سَلَخَها .

أقول : وهذا من نوادر التضعيف وما يأتي به من الفوائد ، ذلك أن التضعيف أفاد السَلْب ، وهو نظير « قشّر » بمعنى نزع القِشْر ، ومرَّضَ أي سلب المرض ، وفزَّعَ أزال الفزع وغير ذلك .

وقالوا : **حَزَى** النخلَ يحزيه أي خَرَصَ ما عليه من تمر ، وقالوا : كم خِرْصُ أرضك .

أقول : وحَزَى وخَرَص من الأفعال التي نجدها في الألسن الدارجة .

وقالوا : **خاسَ** البيعَ والطعام ، وأصله من خاست الجيفة من أول ما تروح .

وقالوا : **رَضِعَ** المولود أمَّه **يرضَعها** ، ورَضَعَها يرضِعُها .

ورَعَفَ ، **ورعُف** لغة .

وقالوا : **خَفَيتُ** الشيء : أظهرته ، **وأخفيتُه** : كتمتُه .

أقول : وهذا من فوائد زيادة الهمزة في أنها تصرف الشيء إلى ضده ، ومن ذلك : **وعَدَ وأوعَدَ** ، **وعَذَر وأعذَر** وغير ذلك .

وقَنَعَ قُنوعاً ، إذا سأل ، وقَنِعَ قناعة ، وأقنع رأسه : رفَعَه .

وقالوا : **أعريتُه** إعراءً إذا أعطيته نخلة يأكل تمرها ، وهي العريّة ، والجمع العَرايا .

أقول : ومن سعة العربية أن كثيراً من موادّها تؤلف معجماً خاصاً وأدباً يتصل بموادّ هذا المعجم . وقل أن تجد نظير هذا في كثير من اللغات . ومن ذلك ما يتصل بالنخل ، فإن مواده تؤلف معجماً خاصاً يتبعه أدب خاص.

وقالوا : **وفَلَوتُ** المُهْرَ **وافتَلَيتُه** ، إذا قطعتُه عن أمّه وفصلتُه عن رضاعها وهو فَلُوٌّ .

أقول : ومن سعتها أيضاً أن « للخيل » فيها معجماً خاصاً وأدباً خاصاً ، وقد صنع الأوائل شيئاً من هذا كما صنعوا في النخل .

وقالوا : **أزلوا** مالَهم يأزلونه : حبسوه عن المرعى من خوف .

و « المال » هنا سائر الدوابّ من إبل وغنم وغيرها .

واحتَسَبَ فلانٌ ولدَه ، أي تُوفّي وهو كبير .

وأفرَطَ فلانٌ ولده ، أي توفّي ولم يبلغ الحلم .

وفرَط إليه منّي كلام ، أي تقدَّم .

أقول : وهذه من فوائد العربية ولطائفها الدقيقة .

وقالوا : **خَمَمتُ** البئر ، إذا كسحتَ ما فيها من حمأة أو تراب وقَمَمْتُ البيتَ **أقُمُّه** ، إذا كَنَسْتَه .

وقالوا : **ضِفْتُ** الرجلَ **أضيفه** ، أي نزلتُ عليه ضيفاً له ، **وأضفْتُه** : أنزلْتُه عليّ حتى صار لي ضيفاً .

وقالوا : **غَوِيَ** الفصيل والسّخْلة **يغوَى** غوًى ، إذا لم يروَ من لبَإ أمّه ، ولا يروَى حتى يموت هُزالاً .

وقالوا : تقَيّأتُ ، وقيّأتُه ، وفي الحديث : « الراجع في هبته كالراجع في قيئه » وأخذه قياء ، إذا أكثرَ القيء .

وقالوا : قَشَبه بشَرّ ، يقشِبه قَشْباً أي لطَخَه ، قال النابغة :

فبِتّ كأنّ العائداتِ فرَشْنَني هَراساً به يُعلى فِراشي ويُقشَب

أي يُخلَط ، والهَراس : شجر كبير الشوك .

أقول : وبيت النابغة لا يصح أن يؤتى به شاهداً للقَشْب بمعنى اللطخ لأن « يُقشَب » فيه معناه « يُخلَط » إلاّ إذا أريد باللطخ أن يكون فيه « خلط » ! !

وقَطّ السّعرُ إذا غلا .

وكبَت النار : غطّاها الرماد والجمر تحته .

وأكريتُ الشيء : أخّرتُه، وأنشد أبو عبيدة للحطيئة يهجو الزبرقان ابن بدر :

وأكريتُ العشاءَ إلى سُهَيْلٍ أو الشِّعْرى فطال بيَ الأناءُ

أي إنّي أؤخّر من عشائي انتظاراً لما يطعموني ، وسهيل والشّعْرى نجمان يطلعان في آخر الليل أو في نصفه .

وكَرَدَ وكَسَعَ بمعنى طَرَدَ ، وكَسَأهم يكسَؤُهم بمعنى هَزَمَهم وضَرَبَ أدبارَهم ، وكذلك كَسَحَ .

ولَبَدَ بالأرض يلبِدُ أي لصِقَ .

ومَرَس الصبيّ ثديَ أمّه مَرْساً ، والمَرَس : شدّة العلاج ، وقد **مَرِسَ** .

ومَرَنَ على الأمر مروناً ومرانةً ، ومَرَنت يده على العمل .

ومَغَل فلان بفلان عند فلان : وقع فيه ، يمغَل مَغْلاً ، **ومَغَل** : أكل التراب فاشتكى بطنُه .

وأمليتُ له في غيّه : أطلت له ، **ومالأتُه** على الأمر ممالأةً ، وتمالؤوا أي اجتمعوا .

ونهدتُ العدوَّ أنهَدُه : نهضت إليه ، **وأنهدت** الحوض **ملأتُه** ، وحوض نَهْدان .

وقَلَصَ الظلّ يقلُص ، وقَلَصَ ثوبُه .

ونَمَوتُ إليه الحديث أنموه وأنميه ونَمى الشيء ينمي وينمُو .

ونَصَحتُ الثوبَ : خِطتُه ، والنِّصاح : الخيط ، **ونَصَحتُ** لكم ، ونصحتُكم لغة ، قال تعالى : « ونَصَحت لكم » .

ونَضَوت الثوبَ ، **ونضا** خضابه : نَصَلَ ، **ونَضَوتُ** السيف **وانتضيتُه** سلَلْتُه من غمده . وما **نَغَى** بحرف ، وما **نغم** ، وما **نَبَسَ** . **ونعِمَ** ينعَمُ وينعِمُ .

ونَفَقَ البيع نَفاقاً ، ونَفَقت الدابّةُ نُفوقاً : ماتت ، **ونَفِقَ** الشيء ينفَقُ نَفَقاً : نفِدَ .

ونَفَرَ القوم ينفِرون وينفُرون نَفْراً ونُفوراً ، ونَفَر الحاجّ نَفْراً ، ونَفَرت الدابّةُ نِفاراً ونُفوراً .

ونَفِستَ عليّ كذا تنفَس نفاسةً : بَخِلْتَ .

ونَقَمتُ عليه أنقِم ، وأما نَقِمت أنقَم فلغة .

ونقِهتُ الحديثَ ونَقَهتُه : فهمتُه .

واستنكهت الشارب فنَكَهَ في وجهي .

ونَكَيتُ في العدوّ أنكي نكايةً إذا قتلتَ فيهم وجرحتَ ، ونكأت القَرحَة أنكؤها نَكْأً ، إذا قرفتها .

وهَرَتَ ثوبَه يهرِتُه إذا خرَّقَه ، ويقال : **هرَده** .

وهَضَم له من حقه : كسر له منه .

وأهمّني الشيء : أقلقني ، **وهمّه** المرض : أذابه .

ووزَعَ يزَع : كفّ ، وفي الحديث : « من يزَع السلطانَ أكثر ممّن يزع القرآن » أي يكفّه . وأوزعته ، ألهمتُه ، قال تعالى : « ربّ أوزعْني أن أشكر نعمتك » .

ووَحِمَت المرأة تَوحَم وتِيحم وتاحَم ، وقد وحّمناها، ووحّمنا، لها ونِساء وَحامَى ، والوَحْم والوِحام .

وأوغرتُ صدرَه إيغاراً : أحميته ، وفي صدره وَغْر ، وأصله من وَغْرة القَيظ ، وهي شدّة الحر ، **ووغِرَ** صدرُه يوغَر فهو واغِر .

ووَقَلَ في الجبل : صَعِدَ .

وأوشَكَ الأمر : قَرُب .

وولَعَ الرجل يَلَعُ وَلْعاً ووَلَعاناً : كَذَبَ ، قال ذو الأصبع العَدواني :

إلاّ بأنْ تكذِبا عليَّ ولا أملكُ أنْ تكذِبا وأن تَلَعا

وقال جرير :

لخلاّبة العينينِ كذّابة المُنى وهُنَّ من الإخلاف والوَلعانِ

وأولِعَ بكذا يَوْلَع إيلاعاً وولَعاناً ووَلوعاً ، والاسم الوَلوع وأولعته إيلاعاً .

وغَفِرَ المريضُ يغفر ، وغَفَرَ الجرح يغفِر ، قال المجنون :

خليليَّ إنَّ الدار غُفْرٌ لذي الهوى كما يغفِر المحموم أو صاحب الكلْم

ووَلَغَ الكلب يَلَغُ وَلْغاً .

وأومأت إليه بالهمز ، وبالياء خطأ .

وأيفَعَ الغلام فهو يافِع ويَفَعة ، إذا كاد يدرك ولم يفعل .

ويَمّمْتُه وتيَمّمتُه ، أي قصدتُه ، واليَمَم : القصد ، وقال تعالى : فتيمّموا صعيداً طيّباً » أي اقصدوا له ، ثم كثر حتى سمّي مسح الوجه واليدين بالتراب للصلاة تيمّماً .

وأغَلَّ الجازر والسالخ يُغِلّ إغلالاً إذا ترك في الإهاب شيئاً من اللحم .

ويامِنْ بأصحابك أي خذ بهم يَمنةً ، ولا يقال : تيامَنْ بهم .
ويُمِنَ فلان فهو ميمون، ويامَنَ : أتى اليَمَن ، وكذلك أيمن .
ورجل يَمان وامرأة يمانيَة بالتخفيف .

أسماء ونوادر :

مَأقي العين على « مَفْعِل » ، وليس في الكلام من المعتلّ مثله إلاّ « مأوي » الإبل ، حكاهما الفرّاء وما جاء على غيرهما فهو مفتوح نحو : مَغْزَى ومَدْعى ، ومَرْعَى .

إكاف ووِكاف ، وأكفت البغل ، والإبدال بين الهمزة والواو في أول الاسم والهمزة والياء معروف ومنه وِعاء وإعاء ، وإلاف ووِلاف وإصاد ووِصاد ، وألمعي ويلمَعي ، ورمح يَزَنيّ وأزَنيّ ، منسوب إلى ذي يَزَن ملك من ملوك حميَر .

ويَرَقان وأرَقان : داء يصيب الزرع وزَرْع ميروق ومأروق .

ويَبْرين وأبْرين : اسم رمل ، وذكر ياقوت أنه قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء . . . وثوب يَدَيّ وأديّ : واسع الكم ، واليد كُمّ القميص .

وألوكة ومَألُكة للرسالة ، وقالوا منه المَلَك وأصله « مَلأك » مقلوب « مَألَك » .

الطُوط : القطن .

العِكْم : نمط المرأة ، وهو وعاء تجعل فيه المرأة ذخيرتها .

ورجل أَفَقيّ ، بفتح الهمزة والفاء إذا نَسَبته إلى الآفاق ، وأُفُقي بضمهما .

أقول : والنسبة الأولى سماعية وأما الثانية فالنسبة فيها إلى المفرد وهو القياس .

ومن المفيد أن أشير أن المعاصرين صاغوا من الاسم المفرد صفةً على « فعّال » للمبالغة ، وأرادوا بها المُتسكّع الرّذْل من الرجال الذي لا يُؤبَه به ، وهذا من الجديد في العربية .

الأتاويّون : الغُرَباء ، والواحد أتيّ أو أتاويّ .

وفلان يأكل الحِينة أو الحَيْنة ، والفتح لأهل الحجاز ، أي يأكل وَجْبةً اليوم .

أقول : وهذا من الكلم المفيد ، لأن المعنى المراد مما يحتاج إليه .

وقد جمعوا « مِرآة » على مَراءٍ . وهو القياس ثم حولوها إلى مَرايا ، ونظير ذلك من حيث التحويل خطيئة خطايا ، و « مَزيّة » مَزايا .

وهو فَيْلُ الرأيِ وفال الرأي وفَيِّل ، وفائل ، أي ضعيف الرأي مخطىء الفراسة .

ورجل مالٌ : كثير المال ، والفعل مالَ يَمال .

ورجل نالٌ : كثير النوال .

والأيْد والآد : القوة ، قال تعالى « والسماء بنيناها بأيْدٍ » .

« واذكر عبدَنا داود ذا الأيْد » .

والغشوة والرغوة والذروة كلها مثلثة الفاء ومثل هذا غيره مما آخره واو.

والفَلَح والفَلاح : البقاء ، قال الأعشى :

ولئن كنّا كقوم هلكوا ما لحيّ يا لقومي من فَلَحْ

وقال عديّ بن زيد :

ثم بعد الفلاح والملكِ والأمة وارتهم هناك القبورُ

والغَضراء : الخير والنعمة .

والرَّوْشَم لغة في الرَّوْسم : خشبة فيها كتابة يختم بها الطعام .

أقول : كأن هذه الخشبة المكتوبة التي يُختتَم بها أي تختم بها أكياس الطعام وأوعيته .

والرَّوْشن : الكُوَّة في البيت أو الرف ، ومثله الرَّوْزنة .

والرَّيْع : الزيادة ، وطعام كثير الرَّيع = زائد ، والرِّيع : المرتفع من الأرض ، قال تعالى : «أتَبْنونَ بكل رِيعٍ آيةً تعبثون» .

الصِّرار : الخيط الذي يُشَدّ فوق الخلف لئلاّ يرضع الحُوار .

والصَّرَّة : الصيحة ، قال تعالى «وأقبلت امرأته في صرَّةٍ» .

والصَّرعان : الغداة والعشي ، من المثنيات .

والضَّفَف : كثرة العيال . أقول : إن مادة ضفف وضيف يفيدان الكثرة والزيادة .

والخيْم : جمع خَيمة ، أعوادٌ تُنصَبُ في القيظ وتجعل لها عوارض وتُظلَّل بالشجر .

والخِيم : الطبيعة ، يقال : هو كريم الخِيم .

وغثيثة الجُرح : قَيْحه ولحمه الميّت .

والغَرْب : عرق يسقي فلا ينقطع مثل الناصور . والغَرْب : الدلو ، والغَرْب : حدّ السيف .

والغَرَب : الماء يسيل بين البئر والحوض . والغَرَب : الفضّة ، قال الأعشى :

إذا انكبّ أزهرُ بين السُّقاة تَرامَوا به غَرَباً أو نُضارا

والسَّواف : الهلاك ، يقال : رماه الله بالسَّواف ، وقال الأصمعي : هو بالضم .

والسَّرْب : المال الراعي ، والسِّرب : القطيع من الطير ونحوه .

والسَّرِق : والسَّرَق ، والسّرِقة .

والشّكْوة : جلد الرضيع يُجعَل فيه اللبن .

ويقال لكل جبَل صَدّ وصُدّ .

والأرَبون ، والأرْبان لغة في العُرْبان والعَرَبون ، وهو أن يعطى مستام السلعة مالكها درهماً أو نحوه ، على أنه إن اشتراها فهو من الثمن وإن رجَعَ عن شرائها فذلك لمالك السِلعة .

أقول : وما زال شيء من هذا في العربية المعاصرة والألسن الدارجة ، وهو العَرَبون ليس غير .

وقالوا : أسَد شنوءة ، والزاي لُغَيّة .

أقول : والمشهور هو هذه اللغيّة .

وهذا ألف واحد أقرع ، ولا يقال : قرعاء ، فإن قلت : هذه ألف درهم فأنّثت جماعة الدراهم جاز . وألف مصمَت ومصمّ أي كامل .

وكبش آلَى وأليان = ذو ألْيَة .

والجَراء : بالفتح ، مصدر الجارية ، يقال : جارية بيّنة الجَراء إذا طال مكثها أي لم يمسها رجل .

والخَرْف : مصدر خَرِفَت الأرض تخرَف إذا أصابها مطر الخريف .

والخَرَم : انخرام أحد المنخرين وهو أخرَم وهي خَرْماء .

والخَرَج : سواد في بياض ، وظليم أخرَج ونعامة خَرجاء .

وسُبّوح وقُدّوس وذُرّوح على فُعّول بالضم وسائر هذه المواد بالفتح.

والنِّهاء جمع نِهي وهو الغدير .

وسَلِف الرجل : زوج أخت امرأته .

أقول : وهو « العَديل » في العربية المعاصرة .

والسِّبّ : الخِمار ، وسِبُّكَ : الذي يُسابُّك .

والبُرهة القطعة من الدهر .

وسجير الرجل : صديقه .

والهالكيّ : الحدّاد .

وصَداق وصِداق وصَدُقة ، وقال تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة »

والمُغِلّ : الذي يخون في غير الغنيمة ، قال النمر بن تولب :

جزَى الله عنّا جمرةَ ابنة نوفلٍ جزاء مُغلٍّ بالأمانةِ كاذبِ

و « جمرة » هذه اسم امرأة كان أسرها الشاعر ثم أطلقها على أن تعود إليه فمنعها أهلها . وقال آخر من بني كلاب :

حدّثتَ نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنةً مُغِلَّ الاصبعِ

أي لو رأيت جمعنا بهذه المواضع لحدّثت نفسك بأن تفي ولم تغدر ، وكان قد استجار به رجل فقتله والهاء في « خائنة » للمبالغة .

والذامُ والذَّيْمُ والذابُ والذَّيب حكماً هما أبو عمرو ، ومثلهما الذانُ والذَّين ، والرانُ والرَّين : الصَدأ .

وأغمُّ القفا ضد قولهم واضح الجبين ، قال هدبة بن خَشرم :

فأوصيكِ إنْ فارقتِنا أمَّ معمرٍ وبعض الوصايا في أماكن تنفَعا
فلا تنكحي إنْ فرّق الدهرُ بيننـا أغمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا
ضَروباً بلَحْيَيه على عظم زَوْره إذا القوم هَشّوا للفَعال تَقَنّعا

والغمم أن يسبل الشعر حتى تضيق الجبهة والقفا .

واللّحيان : العظمان من جانب الفم .

والغُمّى : إذا غُمَّ الهلال ، وهي ليلة الغُمّى .

والدّأداء : آخر ليلة من الشهر .

وخُلصان الرجل ، بالضم ، صديقه ، ورجل خُمصان وامرأة خُمصانة وعُريان وعُريانة .

وخَمّان القوم والإبل والخيل والمتاع = رُذاله .

والقَلَت : الهلاك ، والقَلْت : نُقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ، والجمع قِلات .

وضِيفا النهر : ضَفّتاه .

رِكنا في ضُبْع فلان أي في كَنَفه .

وكريم الضريبة ولئيمها ، والضريبة : الطبيعة (انظر خيم) .

والقُور والقار جمع قارة وهي الجبل الصغير .

وقُوق وقاق للطويل السيء الطول .

والقَيْل الملك من حمير ، وأصله من الواو ، وهو قيِّل كسيِّد في الأصل فخُفّف ، ويجمع على أقوال وأقيال . وقيل : هو من الياء من قولهم : تقيّل أباه إذا تبعه في أفعاله . والقال والقيل اسمان لا مصدران .

وقِيد رُمح ، وقاد رمح ، وقِيدَى رُمح أي قدره ، قال هدبة بن خشرم :

وإني إذا ما الموت لم يكُ دونهُ قِيدَى الشِّبْر أحمي الأنفَ أن أتأخّرا

وقِيس رمح ، وقاس رُمْح أي قدره .

وقالوا : لا يعرف قبيله من دبيره ، وأصله من الفَتْل ، والقَبيل ما أقبلْتَ به إلى صدرك .

والدبير : ما أدبرت به عن صدرك . وقالوا : وما أغنى عنه قبيلاً ولا قبالاً أي شيئاً .

والقبيل : الكفيل ، وقبَلتُ به أقبُل قَبالةً أي كفَلتُ .

ومقدرة ، بكسر الدال وفتحها وضمها ، الفرّاء والكسائي .

والقرّتان : الغداة والعشيّ ، وليلة قَرّة : باردة ، قال لبيد :

وجَوارنٌ بيضٌ وكل طِمِرَّةٍ يعدو عليها القَرَّتَيْنِ غلام

والجوارن : دروع سهلة لينة ، والطِمِرّة : الفَرَس الوثوب .

والقَرّ : مركب من مراكب النساء ، قال امرؤ القيس :

وإمّا تريني في رحـــالة جابرٍ على حَرَجٍ كالقَرّ تخفق أكفاني

والقَرّ : اليوم الثاني بعد النحر لأنهم يقرون في منازلهم بمنىً .

والقَرَعة : الدُبّاءة ، وأقرعوه خيار مالهم وخير بَهْمهم ، إذا أعطوه قرعته ، وهي خِياره .

والقَرْح ، جمع قَرْحة ، قال تعالى : « إنْ يمسَسْكم قَرح » أي جراح ، وقرىء بالضم .

والقريحة : أول ماء البئر .

والقاقوزة والقازوزة : إناء يُطرَح فيه الخمر من الإبريق ، والقاقُزّة مولّدة ، قال الأقيشر الأسدي :

أفي تِلادي وما جمّعت من نَشَبٍ   قَرْع القواقيز أفواهُ الأبــاريقِ

القَزَع : الغَيم المتفرّق والواحدة قَزَعة .

والقَصيبة : شعر يُلوَى ليّاً حتى يترَجّل ولا يُضفَر ، وجمعها قصائب ، وهي غير « الجذيلة » و « القَرْن » . وواحد القَصباء « قَصَبة ».

و « القَصَر » : أصول النخل والشجر ، وقرىء : « إنها ترمي بشَرَرٍ كالقَصْر » يريد هذا .

وجاءوا قَضّهم بقضيضهم أي بأجمعهم .

والمشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف ، وهي قرى بالشام .

والقَطَط : الشعر الجعد الشديد الجعودة .

وقِطاع وقَطاع الطير وقُطوعها : وهو أن تجيء من بَلَدٍ إلى بلد ، والقُطْع : البُهْر .

وقِطاف الكرم .

والقِطْر : النحاس ، والقِطْر : ضرب من البرود ، يقال لها : القِطرية ، والقُطْر والقُتْر : الجانب، وأقطار الأرض وأقتارها : نواحيها.

وامرأة قاعد من المحيض ، وكذا سائر النعوت الخاصة بالمرأة نحو طالق وعاقر وناشز وعاطل ومرضع ومُعصر ونحو ذلك .

وكَبِرَ الرجــلُ حتى صار كالقُفّة . أقول : ووصف المُسِن بـ « قُفّة » شيء بقي في الألسن الدارجة .

والقَفْل : ما يَبِسَ من الشجر ، قال أبو ذؤيب :

ومُفرِهةٍ عَنْسٍ قَدَرت لساقِها   فخرَّت كما تَتايع الريح بالقَفْلِ

المُفرِهة : الناقة التي تلد الفُرْه . والعَنْس : الموثَّقة الخَلْق ، وقَدَرْتَ أي قَدَّرْت الضرب لساقها . والتتايُع في الشرّ : التتابُع ، وأراد : تتابَع .

والقَفَل : الرجوع من السفر .

والكِمامة : جلدة تُشَدّ على فم البعير لئلاّ يعَضّ ، وبعير مكموم .

كَمْء وكَمْآن ، وأكمُؤ ثلاثة ، والكثير كَمْأة ، وقالوا : وهذا من غرائب العربية أن يكون الكثير بالتاء والواحد من غير تاء .

أقول : وليس هذا بغريب فالتاء في كثير من الأسماء تخلص الاسم للجمع ومن ذلك « المقاتلة » بجمع المُقاتلين ، والمهاجرة لجمع المهاجرين ونحمل على هذا السّيارة ، والعمّالة والرّجّالة وغير هذا كثير .

وأكْمَأت الأرضُ : كثرت كَمْأتُها ، وخَرَج المتكمّئون ، أي الذين يجتنون الكَمْأة .

والكُور : الرَّحْل بأداته ، والجمع أكوار وكِيران. والكُور : المَبْنى من الطين ، والكِير كيرُ الحدّاد .

والكِير : الزّقّ ، قال بشر بن أبي خازم :

كأنّ حفيفَ منخرهِ إذا ما   كَتَمنَ الرَّبْو كِيرٌ مستعارُ

أي إذا كَتَمَ النَفَس غير هذا الفَرَس ، كان منخره ككير مستعار ، لأنّ المستعير يُبالِغ في استعمال المستعار .

والكَوْر كَوْر العِمامة .

والكوعُ والكاع : طرف الزند الذي يلي أصل الإبهام ، يقال : أحمق يمتخط بكُوعه .

وكوَّف أتى الكوفة .

والكِبْر من التكبّر ، والكِبْرُ : معظم الشيء ، قال الله تعالى : « والذي تولّى كِبْرَه » .

والكَتِد : مجتمع الكتفين .

والكتيلة : النخلة التي فاتت اليد .

والصراري : الملاّح .

والكَرّ : حبل يُصعَد به إلى النخل ، وهو التَبَلَيا في لغة أهل العراق ، وهي آرامية ، والبَرْبند وهي فارسية استعملها أهل البصرة ونواحيها ، وقد ذكر التبليا والبَرْبند الجاحظ في « البخلاء » .

والكَرّ : حبل الشراع .

و « كَرِش » و « كِرْش » ، وامرأة كرشاء عظيمة البطن ، وهذا يعني أنهم لم يقولوا « أكرش » للرجل .

والكَفْر : القرية ، وفي الحديث : يخرجكم الروم منها كَفْراً كَفْراً » .

ويقال : ما ذاق لمَاظاً ولَماجاً ولَماقاً ولَماكاً ولَواساً ، كله بمعنى ما ذاقَ شيئاً ، وما ذاق لَؤوساً .

واللَوْح : العَطَش ، والتاحَ التياحاً فهو ملتاح ، ولاحَ يلوحُ لَوْحاً ولُواحاً ، وبعير مِلْواح ، وكذلك الرجل أي سريع العطش .

هم في لين من العيش ، وفي لَيان ، بالفتح .

وهو أخوه بلِبان أمّه ، قال الأعشى :

رضيعَي لِبانٍ ثَدْيَ أمٍّ تقاسَما بأسحَمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّق

النزيف : السكران ، قال جميل :

ولثِمْتُ فاها آخــذاً بقُرونها لثْمَ النزيف ببَرْدِ ماء الحشرجِ

واللَّحْيُ واللَّحيان عظمان على جانبي الفم ، والجمع ألْحٍ ، والكثير لِحِي . واللّحْية ، والجمع لُحَى ولِحَى ، ولِحياني عظيم اللحية .

واللّديدان صفحتا العنق .

وصار ذاك الأمر ضربةَ لازب ، وأما ضربة لازم فلغة .

واللَّطّ : العِقد يكون في عنق المرأة .

واللّقط : ما انتثر من ورق الشجر .

ورجُل ثَقْف لَقْف أي حاذق عالم بالأمور .

ووَقَع في الناس مَوَتان ومُوتان ومُوات بالضم ومُتَّ ، وأما مِتّ فلغة وبها لغة التنزيل .

وامرأة مَجعة أي تتكلّم بالفحش ، والمصدر المجاعة .

والمَجَل من قولنا : مَجِلَت يده أي تَنَفَّطت أي قَرِحت من العمل ، ومكيت يدُه من العمل .

والصوافن من الخيل القائمة على أطراف أظلافها .

والإمحاق : ان يهلك المال كمُحاق الهلال .

والمَريرة من الحبال : ما طال ولطُف واشتدّ فَتْله ، والجمع : مرائر .

والمَرَس والمَرَسة : الحبل ، والجمع أمراس .

والمِزّ : الفضل ، يقال : لهذا عليّ مِزّ ، وهذا أمَزّ من هذا ، والمُزّ بين الحلو والحامض .

والمَسَل والمَسيل : مسيل الماء ، والجمع أمسِلة ومُسْل ومُسلان ومسايل .

والمَرَج من قولك مَرِج الخاتم في يدي ، ومثله جَرِجَ .

والمَشْقُ : سرعة الكتابة والطعن ، والفعل مَشَقَ يمشُق .

والمَلأ : الجماعة .

وماءٌ مِلْح ، وسَمَك مليح ومملوح ، ولا يقال : مالح .

والنّهيك : الشجاع لأنه يبالغ في قتل أعدائه .

والنُّور : النُّفَّر من الوحش وغيره .

وامرأة نوار إذا كانت تنفر من الريبة وغيرها مما يُكرَه ، قال الباهلي واسمه زغبة أو مالك بن زُغبة :

أنَوراً سَرْعَ ماذا يا فَروقُ   وحبل الوصل منتكثٌ حذيق

وقوله : سَرْعَ السكون للضرورة وهذا الإسكان كثير في الضرورة ، ومنه قول سهم بن حنظلة :

لا يمنع الناسُ منّي ما أردت ولا   أعطيهم ما أرادوا حَسْنَ ذا أدَبا

وقال الأخطل :

فقلتُ اقتلوها عنكم بمزاجها   وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقتَلُ

وقال الأخطل أيضاً يهجو كعب بن جُعَيل :

فإن أهجُه يضجرْ كما ضَجْرَ بازلٌ   من الأُدْم دَبْرَتْ صفحتاه وغاربُهْ

وقال أبو النجم :

لو عُصْرَ منكَ البانُ والمِسْكُ انعَصَرْ

وقال القطامي :

إذا هَدَرَت شقاشِقُه ونَشْبَتْ   له الأظفارُ تُرْكَ له الهِدارُ

وقال :

ألمْ يُخز التفرّق جندَ كِسرى   ونُفْخوا في مدائنهم وطاروا

وقالوا : لا أفعلُه ما حنّت النيب ، وهي مَسانّ الإبِل .

والنبيثة والنثيلة والنجيثة كله ما أخرِج من تراب البئر .

وإنه لنَجيء العين ونَجوء ونَجُؤ ، بمعنى خبيثها ، وفي الحديث : « ردّوا نَجْأة السائل باللقمة » .

ورجل نَدْب أي خفيف في أداء الحاجة . والنّدَب : أثر الجُرْح إذا لم يرتفع عن الجلد ، وأثر السّياط وجمعه أنداب وندوب .

ولي عنه مندوحة أي مُتّسَع .

والتنزّه : التباعد عن المياه والأرياف ، فأمّا الخروج إلى البساتين ونحوها فمولّد .

والنّسيسة : السعي بين الناس بالنميمة .

والنّسْك ، وبالضم أيضاً الذبْح .

والناصف والمَنْصِف : الخادم .

والنصيبة : حجارة توضَع على الحوض ويُسَدّ ما بينها من الخصاص بمدَرة معجونة .

والنضيضة : المطر القليل ، والجمع نضائض .

والنفيجة : القوس ، وهي شُطَيبة من نَبع .

وفلان نفّاج وهو صاحب نَفْج ، أي صاحب كِبْر وفخر ، وفلان نفّاخ ، وهو صاحب نَفْخ ، أي فَخْر وكِبْر . وما بالدار نافِخ ضَرَمة أي أحد .

والنَّفْس : قَدْر دَبْغة أو دبْغَتين من الدّباغ .

والنفيضة : قوم يتقدّمون الجيش ينفضون الطريق، أي ينظرون ما فيها.

والنُّقاية والنُّقاوة : خِيار كل شيء ، ونَقَيتُ العظم ونَقَوته : استخرجتُ نِقْيه .

وفلان نِكْل لأعدائه ونَكَل .

والنَّكَف جمع نَكَفة ، وهي غُدّة في أصل اللّحْي بين الرأس وشحمة الأذن .

والنَّكَفُ مصدر نَكِفَ ، إذا استنكفَ عن الشيء .

والهَيْف والهُوف : ريح حارّة تأتي من قِبَل اليمن .

والهَرَت : سعة الشِّدْق ، وهو هَريت الشِّدق .

والهَرْج : كثرة النكاح والقتل .

والوَتْر في العدد . وفي الذَّحْل بكسرها ، هذا قول أهل العالية ، وأما بنو تميم فتجيزهما .

والوَتيرة : الحاجز بين المنخرين، ووتيرة اليد ما بين الأصابع . والوتيرة حلقة يتعلّم فيها الطعن ، وهو على وتيرة واحدة ، أي طريقة ، وما في عمله وتيرة ، أي فترة .

وحكى الكسائي : أتانا لتيفاق الهلال وتوفاقه وميفاقه أي حين أهلَّ ووَفِقَ يفِق .

وقالوا : لقيته على أوفاز ، أي على عجلة ، ومثله : لقيته على أوفاض .

وامرأة موقَرة إذا حملت ثقيلاً ، ونخلة مُوقِر وموقِرة .

والوَقْص : دَقّ العنق ، وقَصَها يقصها ، والوَقَصُ : قصَر العنق .

والخَيْطة : الوَتِد ، وقيل : دُرّاعة يلبسها المشتار ، قال أبو ذؤيب :
تَدَلّى عليها بين سِبٍّ وخيْطَةٍ بجرداء مثل الوَكْف يكبو غرابها

والوَكْف : الإثم والعيب .

واليُتْم في الناس من قِبَل الأب ، ويَتِمَ ، وفي البهائم من قِبَل الأم ، وامرأة موتِم لها أيتام .

وأبيض يقَق ويقِق .

واليَنْع واليُنْع : إدراك الثمر .

الأوابد في اللغة :

ولقد أدرجت في هذه الأوابد الغريب المتصل بالعادات وما كانوا يمارسونه في حياتهم ، وما يتصل بحاجاتهم مما يشف عن بداوة قديمة .

وها أنا أدرج هذه الأشتات فأقول :

ومما تقوله العرب عن ألسنة البهائم :

قالت الضائنة : أولد رُخالاً وأجز جُفالاً ، وأحلب كُثَباً ثِقالاً ، ولم تَرَ مثلي مالا .

والجَلَد أن يُسلَخ جلد الحوار ثم يُحشى ثِماماً أو غيره من الشجر ثم تُعطَف عليه أمّه لترأمه .

والحبية : صوف الثنيّ ، وهو أفضل من صوف الجَذَع .

والصَّفَر فيما زَعَموا حيّة تكون في البطن تعض الشرسوف إذا جاع صاحبها ولا تسكن حتى تشبع .

وإذا كنيت عن الرجل والمرأة قلت : فلان وفلانة ، بغير ألف ولام ،

وإن كنيْتَ بهما عن حيوان أدخلتَ عليهما الألف واللام فتقول : ركبت الفلان ، وحلبتُ الفلانة .

وقال بشر بن أبي خازم :

تظلّ مَقاليتُ النساء يطَـأنَه يقُلْنَ ألا يُلقى على المرء مِئزرُ

أراد ضبـّاً الأسدي ، وكان جاراً لبني كلاب فقتلوه غدراً به ، وهم يقولون : إذا وَطئت المرأة قتيلاً غدراً عاش ولدها .

والمِقلات المرأة إذا كان لا يعيش لها ولد .

وقالوا : غُبـَّر الليل والمرض والحيض ، قال أبو كبير الهذلي :

ومُبَرّإٍ من كل غُبَّر حيْضةٍ وفَساد مرضعةٍ وداء مُغيِلِ

والمُغيل التي تُرضع ولدها الغيل ، وهو اللبن الذي يرضعه الطفل وأمّه حامل .

وقالت أم تأبّط شراً تؤبـِّنه بعد موته : والله ما حملته وُضْعاً ، ولا وضعتُه يـَتـْناً ، ولا أرضَعتُه غيلاً ، ولا أبتُّه مَئِقاً .

والوُضْع أن تحمل المرأة في آخر طهرها في مقبل الحيضة ، وهو التُضْع أيضاً . وليس حمل المرأة هذا محموداً في المولود وما يكون عليه في خـَلقه وخُلُقه .

واليَتْن : أن تخرج رجلا المولود قبل رأسه .

وأغالت المرأة ولدها فهي مُغيل وأغيَلَت فهي مُغْيِل ، إذا أرضَعَتْه الغَيْل ، أي هي حامل .

ومن معاني الغَيْل الساعد الريّان .

والغِيل : الأجمة ، والشجر الملتفّ .

والغُبْر : بقية اللبن في الضرع .

وقالوا : النقد عند الحافرة ،أي عند أول كلمة .

وهو مثل يضرب للنقد الحاضر في البيع ، ذكره أبو عبيد في الأمثال ، وذكره العسكري والميداني والزمخشري ، واللسان (حفر) .

وقال تعالى : « ائنا لمردودون في الحافرة » أي عند أوّل أمرنا .

وقالوا : بالرِّفاء والبنين ، والدعاء بالالتئام والاجتماع .

والضَّمْدُ : أن تجمع المرأة بين خليلين ، قال أبو ذؤيب :

تُريدين كيما تَضمديني وخالداً وهل يُجمَع السيفانِ ويحك في غِمدِ

وأُدحي النّعام : موضع بيضه ، وهو أُفعول من دحا يدحو ، لأن النعام تدحوه برجلها أي ترفسه ثم تبيض فيه ، وبذلك سُمّي دِحْية الكلبي ابن خليفة بن فروة ، وهو صحابي بعثه الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلى القيصر يدعوه إلى الإسلام شهد من المشاهد أُحُد أو الخندق كما شهد اليرموك ونزل دمشق . ضرب به المثل في حسن الصورة .

والقَبَص : وجَع يُصيب الكبد عن أكل التمر على الرّيق ، ثم يُشرَب عليه الماء ، قال الراجز :

أرُفقةٌ تشكو الجُحاف والقَبَصْ   جُلودُهم أليَنُ من مَسّ القُمُصْ

والجُحاف : وجع يأخذ الرجل عن أكل اللحم بحتاً .

والقَرْم : الفَحْل من الإبِل الذي قد أُقرِمَ ، أي تُرِك من الركوب والعمل ووُدِّع للفحلة ، وهو المقرَم .

والقَرْم : مصدر قَرَمت البَهمة إذا أكلت أكلاً ضعيفاً في أول ما تأكل .

والقارِيَة ، مخفف ، والجمع قَوارٍ : الطائر الأخضر ، قال الشاعر :

أمِن ترجيع قاريةٍ تركتُم   سبايا كم وأُبتُم بالعَناقِ

أي فَزِعتم حين سمعتم ترجيع الطائر فتركتم سبايا كم وأبتُم بالعَناق أي الخَيبة .

ويقال : لقي منه أُذنَي عَناق ، أي داهيةً وأمراً شديداً ، قال الراجز :

إذا تَمَطّيْنَ على القَيَاقي   لاقَيْنَ منهُ أُذنَي عَناقِ

وهذا يعني أن « العناق » بمعنى الداهية كانت في تصورهم ضرباً من حيوان أسطوري على نحو ما تكون في التصوّر الشعبي في عصرنا .

والقَياقي ، وهي جمع قيقاة ، للأرض الغليظة .

ونَسْرٌ قشيب إذا خلط له في لحم سَمّ ، فإذا أكله قتله فيؤخَذ ريشه فتراش به السهام ، قال أبو خراش الهذلي :

به يَدَعِ الكميَّ على يَديْهِ يَخرُّ تخالهُ نَسْراً قشيبا

وقِطاعُ الطير وقُطُوعها : وهو أن تجيء من بلَد إلى بلَد .

أقول : وهذا هو الذي اصطلح عليه أهل العلم الجديد بـ « هجرة الطيور » .

وقالوا : الوَلاء للكُبْر ، وهو أكبر ولد الرجل .

والكُثَب ، جمع كثبة ، وهي قدر حَلْبة .

والأحساء : جمع حِسْي ، وهو بئر مقدار قَعدة الرجل تُحفَر في الرمل تفضي إلى صلابة .

والكُرْز : الخُرْج ، والكَرّاز : الكبش الذي يحمل خُرْج الراعي ، قال الراعي :

يا ليتَ أنني وسبياً في غَنَم والخُرْج منها فوق كرّاز أجَم

و « المَجَر » : أن يعظم بطن الشاة الحامل فتُهزَل ، ويقال : أمجَرَت الشاة فهي مُمْجِر ، وغَنَم مَماجر ومَماجير .

ويقال : به مَغْلة شديدة، ويُكوى صاحبها ثلاث لذَعات بالميسم خلف السرّة .

وأمغَلَت غَنَم فلان ، وهو أن تُنتَج في السنة مرّتين ، والمَغِلة النعجة أو العَنْز تُنتَج هكذا ، قال القطامي :

بيضاء محطوطة المتنَين بَهْكنة رَيّا الروادفِ لم تُمغِل بأولادِ

والمُمغل التي تحمل قبل فطام ولدها فتحمل كل سنة ، وأمغَل بي فلان : إذا وشي به إلى السلطان .

وأمغَرَت الشاة وأنغَرَت إذا حلبت فخَرَج مع لبنها دم فهي مُمْغِر ومُنغِر ، فإن كان ذاك عادة قيل : مِمغار ومِنغار .

والاقَيدر تصغير أقدَر ، وهو القصير المجتمع الخَلْق ، وهوَ من الخيل الذي تقع رجلاه موضع يَدَيه .

ونُتِجَت الناقة ، ونَتَجت هي ، وأنتَجَ الفرس فهي نَتوج ، إذا استبان حملها ، ولا يقال مُنْتِج .

والنتيجة : الشاتان سنُّهما واحدة .

ويقال : عنده نَدْهة من المال ونُدْهة ، وهي العشرون من الإبل ونحوها ، والمائة من الغنم وقرابتها ، والألف من الصامت (الذهب والفضة)

ويقال « هند » للمئتين من الإبل ، و « هُنَيدة » للمئة منها .

والنَّفش : ان تنتشر الإبل والغنم بالليل خاصة ، وقد أنفشتها .

وقالت امرأة لزوجها :

مُرَّ بي علـى بني النَظَرى ولا تَمُرَّ بي على بنات النّقَرى

وبنو النظرى كناية عن الرجال فهم ينظرون إلى محاسنها ولا يتجاوزون ذلك ، وبنات النّقَرى كناية عن النساء اللواتي يتفقدن العيوب والقبح ، ونَقَره ينقُرُه : عابه .

والنَّكْث : أن تُنقَض أخلاق الأخبية والأكسية فتُغزَل ثانية .

ووثَغتُ الناقة أثغِها وَثْغاً ، إذا أدخلت في رَحمها « الدُّرْجة » وهي قطنة يُفعَل بها ذلك لتعطف على غير ولدها فيدر ابنها ، وتلك الدّرْجة هي الوَثيغة .

والوثيمة : جماعة من الحشيش أو الطعام ، يقال : ثِم لها أي اجمع لها . والوَضيمة من الكلإ الكثير .

والوجيبة أن يوجَب البيع على أن يؤخذ ثمنها متفرقاً في أيام فإذا فرغ قيل : قد استوفى .

ووَغَل عليهم يغِلُ ، إذا دخَلَ عليهم وهم يشربون فشربَ من غير أن يُدعَى ، قال امرؤ القيس :

فاليومَ اشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغِلِ

والوَغْل : الذي يشربه الواغل ، قاله أبو عمرو .

وقال الكلابيّون : الإيغار أن تُحْمى الحجارة وتُلقى في الماء لتُسخّنه .

وابتعت الغنم باليَدَيْن ، أي بعضها بثمن ، وبعضها بثمن آخر .

وقيل في المسافة لأن الدليل يستدل على الطريق في الفلاة البعيدة الطرفين بسَوفه ترابها ليعلم أعلى قصد هو أم على جور ، قال امرؤ القيس :

على لاحبٍ لا يُهْتَدَى بمنـــاره إذا سافَه العَودُ الديافيّ جَرْجَرا

أي إذا ساف الجمل تربته جرجر من بعده .

وقيل أيضاً : إن الدليل كان إذا ضلّ في فلاة أخذ التراب فشمّه فعلم أنه على هديه ، قال رؤبة :

إذا الدليل استافَ أخلاف الطرقْ

ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سمّوا البعد مسافة .

ومن أوابدهم :

أن النساء إذا أردن الطلاق وكُنَّ في بيوت شعر ، فإن كان البيت قِبَل المشرق حوّلته إلى المغرب ، وإن كان من قِبَل المغرب حوّلته إلى المشرق ، وإن كان من قِبَل اليمن حوّلته إلى الشام ، وإن كان من قبل الشام حولته إلى اليمن ، فإذا كان رأى الرجل ذلك علم أن امرأته طلّقته فلم يأتها بعد .

وكان العادة في الجاهلية أن المرأة متى انتهت عدتها وتربصها أربعة أشهر بعد موت زوجها كسرتها بمسّ الطيب أو بغيره ، أو دلكت جسدَها بدابّة أو بطير ليكون ذلك خروجاً عن العدة . وقيل : إن الطائر الذي كانت تمسح به المرأة قُبلَها لا يكاد يعيش بعد ذلك .

والاستبراء للأمة نظير العدة للحرّة .

وكان تعدّد الزوجات وإباحة ما في ملك الرجل من الإماء شائعاً في الجاهلية .

ويقال للرجل إذا تزوج : أحصَنَ ، وللمرأة إذا تزوجت أحصنت فهي مُحصَن ومحصَنة ومحصِنة .

وأثفَى الرجل إذا تزوج بثلاث نسوة . والمِثْفَى : الرجل دفَنَ ثلاث نساء ، أو الذي تموت أزواجه كثيراً ، والمِثفاة مؤنث المِثْفَى .

وحَرَثَ الرجل : جمع بين أربع زوجات ، والنساء المتزوجات برجل واحد يقال لهن : « ضرائر » ، وقيل : إن العرب تكني عن الضرّة بالجارة تطيُّراً من الضرر .

وأما المرأة التي تتصل بعدة رجال في آن واحد فهي البغية ، وإذا ولد لها ولد ألحقته بمن شاءت ، فربما ادّعاه وربما أنكره ، لأنها لا ترُدّ من ينتابها ، ولذلك قالوا في المثل :

« ابنك ابن بُوحك يشرب من صَبوحك » يريدون : من بحت به وباحت به أمّه .

أما أولادهم من الإماء فكانوا يستعبدونهم إلاّ إذا أنجبَ الولد فحينئذ يعترف به أبوه كما وقع لعنترة بن شداد ، وإلاّ بقي عبداً .

ويسمّون أول ولدٍ للمرأة زَكْمة ، والآخِر عِجْزة ، وقيل : ان « زكمة » مرادف « عجزة » وهو آخر ولد الأبوين .

والهَرَل : ولد المرأة من زوجها الأول .

والجَرَنبُذة الذي لأمّه زوج .

واليتيم من فقد أباه ولم يبلغ الحلم ، فإن مات الأبوان فهو لطيم ، وإن ماتت أمّه فهو عَجيّ ، أما اليتيم في البهائم فهو الذي فقد أمّه .

وبيضة العقر آخر الأولاد لأن الأم صارت عاقراً .

وكان الرجل في الجاهلية إذا غلبه ابنه أو من هو بسبب أو نسب منه أتى به إلى الموسم ثم نادى يا أيها الناس ألا إني خلفت ابني هذا ، فإن جَرَّ

لم أضمن ، وإن جُرَّ عليه لا أطلب ، أي قد تبرّأت منه فكان لا يؤخذ بعد ذلك على جرائره .

والخليع الذي خلعه أهله لخبثه .

ومن رسوم الزواج انه متى جاء اليوم المعيّن أولموا الولائم وزُفّت العروس بعد أن تصلح المواشط شأنها ، ويقدّم لها الزوج « الحلوة » وتكون إما وصيفة أو غيرها . ثم تضرب له قبة فيدخل عليها بها وينثر للحاضرين أشياء هي الكعك والخبيص ، ويسمونها « النِثار » . وقيل : إن نثار العرب في أعراسهم التمر ، ويسمّون الليلة التي تفترع فيها المرأة « شيباء » ، والليلة التي لا يقدر فيها الزوج على ذلك : « حُرّة » ولذلك قالوا في أمثالهم : باتت بليلةٍ حرة ، يعني لم يغلبها الزوج ، وباتت بليلةٍ شيباء ، إذا غلبها . ويضربان للغالب والمغلوب .

وإذا تزوجت المرأة في بيت أبيها عندما لم يكن الزوج من سكان حيّها فلن يسمح له باقترابه منها قبل الزواج احتراماً لأبيها وعشيرتها ، ولا يتم ذلك إلاّ بعد أن يرجع بها إلى وطنه .

وللمرأة مبنة ، وهي كيس تضع فيه مرآتها وأدواتها .

وضربوا المثل بنقاء مرآة الغريبة ، قال ذو الرمة :

وخدٍّ كمرآة الغريبـــة اسجح

لأن المرأة التي تزوّجت بغير قومها لا ترى من تعتمد عليه فتحتاج أن تنقي مرآتها من كل ما يكدّرها حتى تريها من نفسها ما يخفى عليها فتزيلها ، ولذلك يقولون لمن أرادوا المبالغة في وصف نقاوته قالوا : أنقى من مرآة الغريبة .

ومن أوابدهم أيضاً

صدحة المطر : وهي رقية تمنع المطر أن يصيب مكاناً أصاب كل ما حوله من الأرض . قيل : كان أهل السكون وحضرموت والسكاسك من عرب اليمن ، فكان أحدهم يصدح عن حلّته أو مواشيه فلا يصيبها شيء من المطر ، وقد عمّ كل أرض تلك البلاد .

التوابع : وقد زعموا أن لكل إنسان تابعاً من الجن يكون معه يتبعه حيث ذهب ، ومنه قولهم : معه تابعة ، أي جنّية .

وإن الجن تهرب من الأرنب ، فمن عُلّق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر .

ولذلك اتخذوها تميمة .

والتمائم جمع تميمة وهي « حِرز »

وقد تكون التميمة خرز رقط تنظم في خيط أو سير وتعقد في العنق . وسميت تميمة لأن بها يتم أمر الصبي ، وكان الأعراب يرمون منها اتقاء العين ودفع الأذى عن الأولاد كالصرع مثلاً فهم يظنون أنه من الجن ، ويسمونه فرعة الحيط ، قال المتنبي :

نظمت مواهبه عليـه تمائمـاً فاعتادها فإذا سقطنَ تفزّعا

ورفع التمائم تعني الكِبَر لأنهم لا يرفعونها إلا متى بلغ الصبي الحلم ، وحينئذٍ يلبسونه العمامة والإزار ويقلدونه السيف ، وذلك كله من علامات البلوغ ، لأنهم كانوا لا يبالون باستتار الغلام قبل بلوغه ، فإذا بلغ يلبسونه الإزار ليستتر به .

ولما جاء الإسلام نهى عن لبس التمائم ، جاء في الحديث :

من علّق تميمة فلا أتمّ الله له ،وجاء أيضاً :من علّق تميمةً فقد أشرك .

والتولة : خرزة وتجمع على تولات يلبسها النسوة ويزعمن أنها تحبّب المرأة لزوجها .

وكانوا يتبخّرون بالحزَى ، وهو جمع حَزاة وحَزاءة يدّخنون بها لطرد الأرواح الشريرة ويزعمون أن الجن لا تدخل بيتاً هو فيه .

ومن أوهامهم من الحيوان السعلاة كالغول تتراءى للناس بالنهار وتغول في الليل ، توجد في الغياض والخلوات ، فإذا انفردت بإنسان أمسكته ترقّصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر .

وكانوا يقولون : ربما صادها الذئب وأكلها ، وهي حينئذٍ ترفع صوتها وتقول : أدركوني فقد أخذني الذئب ...

ومن هذا « الحُرقوص » وهي دويّبة صغيرة أكبر من البرغوث تأتي الأبكار فتفتض بكارتهن .

صفات الرجل

العظيم من الرجال فَيْلَم ، والعظيم الرأس كَرّوس وأرأس ورؤاسي .

والعظيم الأذنين كُفاريّ وأُذاني ، والعظيم الأنف أُنافي ، والعظيم الشَّفتين شُفاهي .

والعظيم الرجل أرجَل ، والعظيم الركبة أركب . . .

والكثير الأكل أكول وجَروز وجُراخِم .

والكثير الكلام ثِرثار ومهذار ، والكثير السفَر سَفِر ، والكثير الفكر فِكّير ، والكثير الاضطجاع والكسلان الملازم للبيت لا يكاد ينهض ويخرج لمكرمة : ضُجَعة ، والكثير القعود قُعَدَة ، والكثير الصلاة والصيام عَمّار ، والكثير الصدق صِدّيق ، والكثير الشعر أشعر .

وإذا كان الرجل سريع الفَهْم فهو لقِن ، أو كان ذا رأي وتجربة فهو خبير وداه ، وإذا سافر واستفاد التجارب فهو باقعة ، وإذا نَقّب في البلاد فهو نقّاب ، وإذا كان ماضياً في الأمور فهو إصليت .

وإذا كان يظهر من حذقه أكثر مما عنده فهو متحذلق وعَتاهية .

وإذا كان يبدي من سخائه ومروءته ودينه غير ما هو عليه فهو متلَهوِق، فإذا كان يتطرَّف ويتكيّس من غير ظرف فهو متبلتع . فإذا كان يركب الأمور ويأخذ من هذا ويعطي ذاك فهو مُغذمِر .

فإذا كان يخبص الأمور بعضها في بعض فهو خبّاص ، فإذا كان لا يعرف من أين يدخل في الأمر ، ولا من أين يخرج منه فهو مِزيال ، فإذا كان خبيثاً فاجراً فهو عِتريف .

فإذا كان معترضاً لما لا يعنيه فهو مِتياح ومِعَنّ .

وإذا كان لا يثبت على صحبة أحد فهو مُطرِف وتِلِمّاظ ، فإذا كان لا يثبت على حديث ولا يحسن العمل فهو أعفك .

فإذا كان لا يرى شيئاً إلاّ أحبّه أن يكون له فهو طِرْف .

فإذا كان لا يستطيع كتم السر فهو بذير ونمّام وعُلَنة .

فإذا كان لا يرجى عنده الخير فهو حَرِض ، فإذا كان يلقب الناس ويسخر منهم فهو لَقِس .

فإذا كان يدخل على الناس وهم يأكلون فهو وارش ، فإذا كان يدخل بغير إذن ويتحيّن طعامهم فهو طفيلي ومتطفّل وحَضِر .

فإذا كان لا يطرب للهو فهو عزهاة ، فإذا كان يسأل الناس كثيراً فهو سُؤَلة .

فإذا كان لصاً لا ينام فهو سِنِمّار . فإذا كان يُعجَب بنفسه فهو شنيق .

فإذا كان يرقص ويثب ويُصفّق ويلعب ويحدّث ويضحك فهو محنبش .

فإذا كان يصاحب ويغضب من غير سبب فهو مسنوت .

فإذا كان يجيء مع الضيف فهو ضيفَن .

فإذا كان يخالط الأمور فهو مِخلَط .

أوصاف النساء

إذا كانت المرأة محبّة لزوجها متحبّبة إليه فهي عَروب .

وإذا كانت نفوراً من الريبة فهي نَوار ، فإذا كانت تجتنب الأقذار فهي قذور .

فإذا كانت عاملة الكفّين فهي صَناع .

فإذا كانت كثيرة الولد فهي نَثور ومِنتاق وبرزاء ، فإذا كانت قليلة الولد فهي نَزور .

فإذا كانت لا يعيش لها ولد فهي مِقلات ، فإذا كانت تلد الذكور فهي مذكار ، وإذا كانت تلد الإناث فهي مِئناث ، فإذا كانت تلد مرةً ذكراً ومرّةً أنثى فهي معقاب . أما التي لا يكاد يموت لها ولد فهي العبي .

وإذا كانت تلد توأمين فهي مِتئام ، فإذا كانت تلد النجباء فهي مِنجاب ، فإذا كانت تلد الحمقى فهي محماق و ميقاب .

وإذا كانت كثيرة موت الأولاد فهي مثكال ، فإذا تركت الزينة لموت زوجها فهي مُحدّ .

وإذا تزوجت بعد زوجها ولها ابن بالغ كبير فهي بَروك .

فإذا كانت ملازمة لبيتها فهي خُبَأة ، وإذا كانت تطلع ثم تختبىء فهي خُبعة طُلَعة .

وإذا كانت لا تثبت على حال فهي خيتروع .

فإذا كانت بارعة الجمال مستغنية به عن التزيّن فهي غانية .

وقالوا : الغانية الشابّة الحسناء التي تعجب الرجال ويعجبها الرجال ، وقالوا : هي المقيمة في بيت أبيها لم تتزوج بعد ، وقيل : بل هي ذات الزوج لأنها غنيّة به . . .

والحرائر : الخِيار من النساء ، وهُنّ العواتك ، والتي لا تمد عينها إلى غير زوجها قاصرة الطرف .

ويقال للطويلة هُدب العينين « رَيْشاء » .

ويقال للخشنة : الجَشوب ، والمرأة السمينة : زينب ورَداح .

ويقال للمحزونة بالهمّ : الشَجوب ، وللحسنة الدَلّ : اللّعوب .

ويقال للتي تُستَحسن وحدها لا بين النساء : خَفوت .

ويقال للبكر في أول حملها : الخَروس ، وكذلك التي تُعمَل لها الخُرسة ، وكذلك القليلة الدَرّ .

ويقولون : عَرَكت المرأة وضحكت إذا حاضت ، وأمّا التي لا تحيض ولا لَبَن لها فهي الضهيار وأما التي ينزل ابنها من غير حَبَل فهي المُحمِل .

من المأثور من الحديث والمثل والشعر

جاء في الحديث : « اغتربوا ولا تُضْوُوا » أي تزوجوا بالغرائب ولا تتزوجوا في العمومة .

وكان العرب يعتقدون : أن ولد الرجل من ذي قرابته يجيء ضاوياً ، غير أنه يجيء كريماً ، قال الشاعر :

فتىً لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوَى وقد يضوَى وليد القرائبِ

وفي أمثالهم : « النزائع ولا القرائب » والنزيعة هي الغريبة .

* * *

وجاء في المثل : « جَلّت الهاجِن عن الولد » ويضرب في التعرض للشيء قبل وقته .

وقال أوس بن حجر :

وكلهم لأبيهِ ضَيْزَنٌ خَلَفُ

والضَيْزَن من يزاحم أباه في امرأته .

وقد كان من أنكحتهم نكاح المقت ، وهو أن الرجل إذا مات قام ولده الأكبر ، فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له

بها حاجة ، زوّجها لبعض إخوته بمهر جديد ، فكانوا يرثون ذلك كما يرثون الأموال ، وكانوا يعيبون من يفعل ذلك .

قال ابن خلكان ٥/١٦٤ ــ ١٦٥ : ضيزن اسم صنم في الجاهلية ، وبه تسمّى الساطرون صاحب تكريت وقد أبطل الإسلام وحرّم زواج المقت هذا .

وقالوا : كانت العرب تتزوج فيقول الخاطب ، خِطْب فيردّ عليه المخطوب نِكْح ، ثم يضمّان ويضرب موعد للزفاف يحضره شهود عدل . (انظر المثل : أسرع من نكاح أم خارجة) في كتاب « الكامل » للمبرد ، وفي كتب الأمثال .

وفي الشريعة الإسلامية لا بد من تحرير « كتاب » بالزواج .

وكان الرجل يقول حين يريد أن يطلق زوجته : « الحقي بأهلك أو اذهبي فلا أنده سَرْبَكِ » والنده الزجر ، والسَّرْب : المال الراعي .

ومن أمثالهم : « ابنُك ابن بُوحِك يشرب من صبوحك » يريدون : ابنك من بحت به وباحت به أمّه .

وقالوا : « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » .

وهذا يعني أن من عادة نساء العرب أن لا يرضعن أولاد غيرهن ، لأن ذلك عار عندهم فقد تجوع الشريفة النفس ولا تؤجر نفسها للرضاع .

وقال سحيم عبد بني الحسحاس :

وكم قد شققنا من رداء مزنّرٍ   رمن برقع عن ناظرٍ غير ناعسِ
إذا شُقَّ بُردٌ نيطَ بالبرد برقع   على ذاكَ حتى كلّنا غير لابِسِ

وتزعم العرب أن المرأة إذا أحبت رجلاً وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق برقعها فسد حبهما .

وللعرب خرزة تسمى السلوانة، تجمع على سلوان يزعمون أن العاشق إذا حكّها وشرب ما يخرج منها صَبَرَ ، قال رؤبة :

لو أشرب السّلْوَانَ ما سَليتُ   ما بي غنىً عنكم وإن غَنَيتُ

ومن أمثالهم : « إذا دخلت أرض الحُصَيب فهرول » أي أسرع في مرورك لئلاّ تفتنك نساؤه بجمالهن .

والحُصَيب موضع في اليمن يوصف بحسن النساء .

وقيل لأعرابي : من أنت ؟ قال : من قوم إذا أحبّوا ماتوا ، فقالت جارية سمعته : عذريّ ورب الكعبة .

وقالوا : إن رجلاً صحب جميلاً الشاعر رجل من بني عذرة يَدّعي العشق ، وهو سمين ، فقال فيه :

وقد رابني من زَهدَمٍ ان زهدماً   يشدّ على خبزي ويبكي على عُمْلِ
فلو كنت عذريَّ العلاقة لم تكن   سميناً وأنساك الهوى كثرة الأكلِ

وإلى شيء من هذا ذهب المتنبي في قوله :

وعَذَلت أهل العشق حتى ذقته   فعجبت كيف يموت مَن لا يعشقُ

وقال آخر :

إذا ما نجا العذريّ من ميتة الهوى فذاكَ وربَّ العاشقين دخيلُ

وربما تطيّروا بالإبل (والمشهور أن الطيرة بالغراب) لكون هذه تحمل أثقال من ارتحل ، وقال الشاعر :

زعموا بأن مطيّهم سبب النوى والمؤذنـــات بفرقة الأحبابِ

وقال الميداني في شرح المثل « أشأم من ورقاء » : إنهم يعنون به الناقة .

وكانوا يتشاءمون من العطاس ، وقيل : سبب ذلك أنهم يكرهون دابة يقال لها « العاطوس » كما يتشاءمون بالبوم في أنه يدل على الموت والخراب ، قال طرفة :

لعمري لقد مرّت عواطيس جمّة ومرَّ قبيل الصبح ظبيٌ مصمَّعُ

والأخيل : طائر يقال له الشقراق ، ويسمونه « مقطع الظهور » لأنهم يتطيرون منه للطمه ، فإذا وقع على بعير يئسوا منه وإن كان سالماً ، وإذا لقيه المسافر تطيّر وأيقن بالعَقْر ، وقال الفرزدق يخاطب ناقته « قطن » :

إذا قَطَنَ بلغتنيهِ ابن مدركٍ فلقيت من طير العراقيب أخيلا

والعرب تسمي كل طائر تتطيّر منه الإبل « طير العراقيب » لأنه يعرقبها وهو طير الشؤم ، وإذا رأى أحدهم شيئاً من طير العراقيب قالوا : أتيح له ابنا عيان ، كأنه قد عاين القتل والعقر .

وقال الأعشى يخاطب ناقته :

فكعبة نجران حتم عليكِ   حتى تُناخي بأبوابها
تزور يزيداً وعبد المسيح   وقُسّاً هم خير أربابها

قال أبو الفرج : إنها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظّموها مضاهاةً للكعبة .

وقال مضاض الجرهمي :

كأنْ لم يكنْ بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ

فقد ذكروا أن سدانة الكعبة في الجاهلية مع بني إسماعيل حتى انتهى ذلك إلى ثابت أحد أولاده فلما توفي صارت إلى جدّه لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي حتى غلبت خزاعة على مكة فصارت إليهم ونفوا بني جرهم عن مكّة ، وفي ذلك قال « مضاض » البيت .

ولم تزل سدانة الكعبة في خزاعة إلى أن انتهت إلى أبي غبشان الملكاني وصياً لحليل بن حبشية الخزاعي ، فأسكره قُصَي بن كلاب القرشي ، واشترى منه مفاتيح الكعبة بزقّ خمر ، فلما صحا أبو غبشان ندم حيث لم ينفعه الندم فضرب بذلك المثل وقيل : أخسر من أبي غبشان ، قال الشاعر :

باعت خزاعةُ بيت الله إذ سكرت   بزِقّ خمرٍ فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها بالنزْر وانصرمت   عن المقام وظلّ البيت والنادي

فمن ثمّ صارت سدانة الكعبة لقريش واستولى قصي على مفاتيحها ،وتولى

البيت وصار له لواء الحرب وحجابة البيت ، واتخذ دار الندوة إزاء الكعبة في مشاوراتهم ، وتصدى لإطعام الحج وسقايته ، ففرض على قريش خراجاً يؤدّونه إليه فتمت له بذلك الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء .

وقال طرفة :

يشقّ حباب الماء حيزومها بها　　كما قسم الترب المفايل باليدِ

وهو يصف سفينة ، والمسألة معروفة ، وهو يشبهها حين تشق الموج بصدرها بالمفايل ولا بد أن نقف على « الفِيال » ، وهو من أنواع الميسر وهو

أن يجمع التراب فيُدفن فيه شيء ، ثم يجعل التراب نصفين ، ويسأل عن الدفين في أيهما هو ، فمن أصاب قمَرَ ، ومن أخطأ قُمِرَ .

وأنشدوا :

ألا إنّ نومات الضحى تورث الفتى　　غموماً ونومات العُصَير جنون

ويسمون « نومة الضحى » « نومة الحرق » وهي تدل على البلادة بزعمهم ، ويعتقدون أنها تورث الغمّ والخوف ، ونومة العصر تورث الحزن .

وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدي والطير في وكناتهـا　　بمنجردٍ قيدِ الأوابـد هيكلِ

فقد قيل : إنهم اذا أرادوا السفر خرجوا من الغلس ، والطير في أوكارها

على الشجر فيطيرونها فإن أخذت يميناً أخذوا يميناً ، وإن أخذت شمالاً أخذوا شمالاً .

وقال لبيد :

لعمرُك ما تدري الطوارق بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

والطّرْق بالحصا نوع من التكهن لدى العرب الجاهليين ، وأصحابه يُسمّون الطُرّاق . والطوارق المتكهّنات من النساء . « والنُقَد » جمع نُقدة وهو ضرب من السحر ، و « العُقد » التي تعقدها الساحرات ، وهن النفّاثات في العقد .

ومن ممارساتهم مما يحمل على الميسر ما يُدعى « المخزق » وهو عُوَيد في طرفه مسمار محدّد يكون عند بيّاع البُسر بالنوى بطريق المبادلة ، وله مخازق كثيرة يأتيه الصبي بالنوى فيأخذه منه بشرط كذا وكذا ضربة بالمخزق ، فما انتظم من البُسر فهو له قلّ أو كثُر . وأما إن أخطأ فلا شيء له وهو يخسر نواه .

وقال الشاعر :

هل ينفعنْكَ اليوم إن همت بهم كثرةُ ما توصي وتعقاد الرّتَمْ

والرّتْم من أوابد العرب ، وهو شجر معروف ، كان إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصناً منها ، فإذا عاد من سفره ووجده قد انحلّ اعتقد أن امرأته قد خانته . وكأن صاحب البيت يخاطب رجلاً من العرب أراد سفراً فأخذ يوصي امرأته ويقول لها : إياك أن تفعلي فإني عاقد لك رتمة بشجرة ، فإن أحدثت حدَثاً انحلت .

والرتيمة : وهي من الرتم أيضاً ، وذلك انه إذا مات أحدهم عقلوا ناقته عند قبره وسدّوا عينها حتى تموت ، يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها ، وتسمى الناقة « البلية » ، وعكس البلية أن يربطوها معكوسة الرأس إلى ما يلي كلكلها وبطنها ، ويقال إلى مؤخّرها ، ثم يتركونها حتى تموت .

وقال الشاعر :

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم فليس بمغن عنك عقدُ الرتائمِ

ولهم في الإبل ممارسات أخرى منها :

التعمية والتفقئة ، وذلك أن الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ ، قلّع عين الفحل ، ويزعمون أن ذلك يدفع عنها العين ، فإذا زادت عن الألف فقأ عينه الأخرى ، ومن أجل ذلك جاء في المثل : عنده من المال عائرة عين .

وقال النابغة :

حمّلتَ عليّ ذنبَه وتركتَــه كذي العُرّ يُكوَى غيره وهو راتعُ

وذلك أنهم كانوا يكوون البعير السليم ليداووا بذلك البعير الأجرب .

ومن ممارساتهم : أنهم يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمّها فإنها تسكن .

وقال ابن مدرك :

إني وقتلي سليكاً ثمّ أغفلــه كالثور يُضرَب لما عافت البقر

والبيت يشير إلى شيء من أوابدهم وهو أنهم كانوا اذا امتنعت البقر من الشرب ضربوا الثور ، ويزعمون أن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب . وعجز البيت يضرب مثلاً في أن الرجل يعاقب بذنب غيره ، وهذا نظير بيت النابغة المتقدم .

وقالوا أيضاً في معنى « الثور » في البيت انه طحلب يكون على وجه الماء المزمن فتكره البقر الماء بسببه فإذا ضرب ونُحّي عن وجه الماء شربت .

وقال الشاعر :

سلّط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هامُ

وقال طرفة :

كريمٌ يروّي نفسه في حياته ... ستعلم إن متنا غداً أيُّنا الصدي

ويزعمون ان « الهامة » طائر يكبر ويتوحش ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ، ويقولون : ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت ، ولذلك كانت نساء العرب لا تبكي المقتول حتى يؤخذ بثاره .

وجاء في الحديث : لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام .

والصَّفَر وهو أنهم يزعمون ان الجنّ تطلب بثأر الجان فربّما مات قاتله أو أصابه خبل ، والجان حية بيضاء كحلاء العين كثيرة في الدور ، ولذلك يقولون في أمثالهم :

كالأراقم إن يقتَل ينقِم، وإن يُترَك يلقَم،ويزعمون أن الحيَّة تموت في أول ضربة فإن ثُنّيت عاشت .

ويزعمون أن الغلام إذا ثَغَر فرمى سنّه في عين الشمس بسبّابته وإبهامه ، وقال : أبدليني بأحسن منها ، فإنه يأمن على أسنانه من العوج والفَلَج .

ويزعمون أن الرجل إذا قدم قريةً فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهَقَ كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها .

ويزعمون أن الرجل إذا ضلّ فقَلَب ثيابه اهتدى إلى طريقه .

ويزعمون أن المقلات ان وطئت رجلاً كريماً قُتِلَ غدراً عاش ولدها.

وقال الشاعر :

لا درَّ درَّ أناس خابَ سعيهـم يستمطرون لدى الأزمات بالعُشَرِ

أجاعِلٌ أنت بيقوراً مسلّعـةً ذريعةً لك بـين اللهِ والمطرِ

وهذا يعني أنهم كانوا إذا جدبت أرضهم ولم تمطر أخذوا أغصاناً من السّلَع والعُشر وعلّقوها بأذناب ثيران الوحش وحدروها من الجبال ، وأشعلوا في ذلك السلع والعشر النار ، وهم يعتقدون أن ذلك يستنزل المطر .

قال أمية بن أبي الصلت :

عاقدين النيران في ثُكَن الأذ ناب منها لكي تهيج النحورا
سَلَع مّا ومثلُـه عُشَر مّا عائل مّا وعالت البيقـورا

وقال كعب بن زهير :

فما تدومُ على حالٍ تكون بها كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغولُ

ويقولون في المثل كتلون الغول ، وقالوا : تغوَّلت المرأة إذا تشبهت بالغول .

والغول : من الجن تتلون للناس في الخلوات بصور شتى لتُضلّهم في الطريق وتهلكهم فتتخاطبهم ويخاطبونها ، ويروون عنها أحاديث وأحاجي وقالوا : إنها تشبه الإنسان والبهيمة ، وهي ذكر وأنثى .

وقالوا : إنها سبع من سباع الجن ، وبعضهم لا يفرق بين الغول والسعلاة.

وقال الشاعر :

إذا ما ابن عبد الله خلّى مكانه وقد حلّقت في الجوّ عنقاء مَغربِ

ويزعمون أن « عنقاء مغرب » طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يسمع ولا يُرى ، وفي المثل : « حلّقت به في الجو عنقاء مَغربِ » .

وقال الشاعر :

إذ لا يزال قتيل تحتَ رايتِنا كما تسحّط سَقْبَ الناقةِ الفَرَعُ

والفَرَع : بعير كان يذبح في الجاهلية ، فإذا صار للإنسان مئة بعير نحر منها بعيراً كل عام فأطعم الناسَ ولا يذوقه هو ولا أهله . ويقال : أفرَعَ القوم أيضاً إذا ذبحوا أول ولد تنتجه الناقة لآلهتهم . وفي الحديث : لا فَرَع ولا عتيرة .



الفهرس

الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com